الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٨ الخميس ٢٩ رمضان ١٣٨٣ هـ - ١٣ فبراير ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

لِمَ لا نظلُّ رمضانيّين بعدَ رمضان؟

بقلم : أحمد حسن الزيات

في مساء هذا اليوم يوم الخميس يغرب مع الشمس شهر رمضان فيترك من ورائه ليلا طويلا يغمر النفوس المؤمنة بالظلام والوحشة فلا يعود الى عيونهم النور والى قلوبهم الأنس الا بعودته اليهم من قابل .

والمسلمون في توديعه جد مختلفين ، فمنهم المتقون والقرويون والذين لم تقس قلوبهم على جفاف المادة ، وهؤلاء قد ودعوه وعلى وجوههم غشاوة من الأسى على بركات انقضت بانقضائه كأنما يعتقدون أن باب السماء في سائر الشهور مغلق ، وأن وجه الارض في بقية الفصول جديب !

ففي ربعه الاخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فتفجع عليه الصائمون في البيوت ، والمصلون في المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ، والمنشدون في الاذاعة ، والمسحرون على الابواب ، وكلهم يقولون سرا وجهرا : لاأوحش الله منك يا شهر البر والذكر والفكر والرجاء !

ومنهم الخلعاء والمجان والذين في قلوبهم مرض وفي ايمانهم ضعف ، وهؤلاء قد ودعوا فيه قيدا ثقيلا غلهم عن شهوات الجسد ونزوات النفس ، وفرحوا بوداعه فرح السجين اذا أطلق والمحروم اذا نال . ومن هؤلاء أكثر الشعراء . وتمردهم على رمضان معروف وابتهاجهم بشوال مأثور . ولعل أقدم شعر سمعناه في التبرم بشهر الصوم قول الفرزدق على قرب عهده بعصر النبوة :

اذا ما انقضى عشرون يوما تحركت
أراجيف بالشهر الذى أنا صائمه
وطارت رقاع بالمواعيد بيننا
لكى يلتقى مظلوم قوم وظالمه
فان شال شوال نشل فى أكفنا
كئوسا تعادى العقل حين تسالمه

ولأبى نواس وأمثاله فى هذا الباب حماقات نذكر منها على سبيل الفكاهة قوله :

منع الصوم العقارا
وذوى اللهو فغارا
وبقينا فى سجون الصو
م للهم أسارى
غير أنا سنداري
فيه من ليس يداري
نشرب الليل الى
الصبح صغارا وكبارا
نتغنى ما اشتهينا
من الشعر جهارا
فاسقنى حتى ترانى
أحسب الديك حمارا

والخليفة ابن المعتز الذى يقول عن نفسه فى استقبال رمضان :

ونهاها الصيام عن سفه الكأ
س فردت على السقاة المداما

يقول فى استقبال العيد :

أهلا بفطر قد أتاك هلاله
فالآن فاغد الى المدام وبكر

وكتب على بن جبلة الى أبى دلف يستهديه نبيذا فى يوم الفطر فوجه اليه ما كفاه ومائتى دينار فقال فيه :

وابيض عجلى رأيت غمامه
وأسيافه تقضى على الحدثان
رددت اليه ذمتى فاجارها
واغنى يدى عن غيره ولسانى
شربت ورويت النديم بماله
وادركت ثار الراح من رمضان

ومن الشعراء من كان يحب رمضان لشرابه وطعامه لا لصيامه وقيامه . قال أبو الحسين الجزار المصرى فى الكنافة وقد امتنعت عليه :

ومالى أرى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم أرد رمضانها
عجبت لها من رقة كيف أظهرت
على جفا قد صدعنى جفانها
ترى اتهمتنى بالقطايف فاغتدت
تصد اعتقادا أن قلبى خانها
وقد قاطعتنى ما سمعت كلامها
لان لسانى لم يخالط لسانها

***

لا أحب أن أوغل فى حديث هؤلاء المجان فانهم ليسوا من رمضان ولا من أهله . وستجدون شيئا من هذا السخف فى مقال آخر من هذا العدد. وأعود الى حديثكم ايها الصائمون القائمون الذين ودعتموه بالحسرات وشيعتموه بالدموع فاسألكم : هل أنتم يوم ودعتموه ، خير منكم يوم استقبلتموه ؟ هل تشعرون بعد أن اديتم فريضة هذا الركن القوى من اركان الاسلام أن نفوسكم اصبحت أطهر ، وان أخلاقكم صارت أكرم ، وان أهواءكم غدت أرفع ؟ وهل تحسون اثر أولئك كله فى دنياكم الخاصة والعامة ، فأنتم اليوم أشد قربا من الله وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟

اسألوا أنفسكم هذه الاسئلة ثم أجيبوا عنها ، وأنا معتقد أن أجوبتكم ستكون بالايجاب ، والا لما حزنتم على انقضاء رمضان وأسفتم على انقطاع الخير فيه ، فان المرء لا يحزن الا على عزيز ، ولا يأسف الا على نافع . فلماذا اذن لا تظلون رمضانيين بعد رمضان ؟ .. لماذا لا تستمرون فى الصيام عن ظاهر الاثم وباطنه ، فتغلوا أيديكم عن الأذى ، وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا قلوبكم من الرجس، وتنزهوا مكاسبكم عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ، وقد جربتم ذلك فى رمضان فنفعت التجربة وحسنت العاقبة ؟؟

لماذا لا تضيقون الكلفة فى القهوة لتوسعوا النفقة فى البيت ، وتقتصدون قليلا من الانس بالاصدقاء

لتوفروا كثيراً من الأنس بالاسرة ، وقد فعلتم ذلك في رمضان فاعتدلت الحال وطابت المعيشة ؟

هذا السكير الذى استطاع أن يفطم نفسه عن رضاع الكأس ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا عقله وامتلأ جيبه وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش بعد رمضان على هذا المنهاج وقد علم بالاختبار أن هذا الفطام قد نفعه ولم يضره ، وتيسر له ولم يتعسر عليه ؟

وهذا المدخن الذى ترك التدخين ثلاثين يوما فاراح صدره وسكن أعصابه وقوى شهيته ، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره وقد رأى أن فى طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه ؟

وهذا القوى الذى كان وهو صائم يمر باللغو كريما، فيقابل الذنب بالمغفرة والسيئة بالحسنة والقطيعة بالصلة ، فوصل السلام بين قلبه والأمن ، وقرب الوئام بين نفسه والسعادة ، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ما جنى من خيره فى أربعة أسابيع ما لم يجنه من غيره فى العام كله ؟

وهذا التاجر الذى راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله فى التجارة ، فلم يطفف الكيل ولم يخسر الميزان ، ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش البضاعة ، ولم يرفع السعر ، ثم تحقق من جدوى ذلك عليه فى رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه، لماذا لا يلزم نفسه ذلك فى كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال وأدرك لذة الحق ؟

وهذا الغنى الذى ذاق فى رمضان الم الجوع وكابد مشقة الحرمان ، ثم استطاع بالصدقة ان يخفف عناء الفقر عن فقير ، ويدفع شر الحاجة عن محتاج ، لماذا لا يشعر دائما ان الجوع بعد رمضان باق، وان العوز فى أكثر الناس قائم ، وأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بيوم ، ولا يتخصص قضاؤه بصوم ؟

ان رمضان شهر رياضة وموسم استشفاء . نروض فيه أنفسنا على الخير لنمرن عليه ، ونعالجها به من الشر لنبرأ منه . وليس الغرض من هذه الرياضة وهذا الاستشفاء أن يحدثا أثرهما الطيب فى حياة المرء فى شهر بعينه ، فان ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ، ويناقض منطق الاشياء فى الواقع . والمريض الذى يطلب العافية فى مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للمدة التى يقضيها فى المصحة ، وانما يطلبها لتكون عمادا قويا لما وهن من جسمه ، وزادا صحيا لما بقى من عمره . وما أبعد المسلم عن الاسلام اذا كان يعتقد أن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر الا وهو فى المسجد ، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى الا وهو فى رمضان، وأن الزكاة لا توجهه الى المعروف والخير الا وهو فى العيد !

اما أنتم معاشر الذين خرجوا من رمضان بزاد من التقوى للقلب والروح ، وذخيرة من الخير للوطن والامة ، وعدة من الصبر للجهاد والعمل ، فانكم أحرياء فى آخر يوم منه أن تهنئوا بحزنكم فى توديع شهر الصوم ، وبفرحكم فى استقبال يوم الفطر ، فان الحزن على رمضان تقوى وبر ، لانه حزن على خير مضى وأنس فات ، وان الفرح بالعيد عبادة وشكر لانه فرح ببشرى نزول الوحى وذكرى يوم بدر !

احمد حسن الزيات

***

اخطاء لغوية شائعة

لا تقل : وحدة بكسر الواو وقل : وحدة بفتحها .

لا تقل : حصل على كذا بضم الصاد وقل حصل عليه بفتحها .

لا تقل : قبول الطلاب فى الجامعة بضم القاف وقلها بفتحها .

لا تقل : جدة للمدينة الحجازية بفتح الجيم وقلها بضمها .

لا تقل : الرباط للمدينة المغربية بفتح الراء وقلها بكسرها .

لا تقل : أسرة الصباح فى الكويت بتشديد الباء وقلها بتخفيفها .

نظرات فى الثقافة

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

« ١ »

خـــرج الأوربيون من ديارهم مرتين : الأولى مستكشفين ، والثانية مستعمرين ، وكانوا فى المرة الاولى يبحثون عن طرق للتجارة ، وفى المرة الثانية يبحثون عن الأسواق لتصريف المنتجات واستيراد المواد الخام •

والأوربيون فى ســبيل استكشافهم لطرق التجارة استكشفوا قارات بأكملها عرفت فيما بعد بالدنيا الجديدة ـ بأمريكا واستراليا ••• الخ •

كان يســكن هذه القـــارات أقوام لهم عاداتهم وتقاليدهم ، ولهم ثقافاتهم المميزة لهم • ولقد حير شأن هؤلاء الأقوام بال المستكشفين من الأوربيين ، وراحوا يسألون أنفسهم السؤال تلو السؤال عن هذه الجماعات وعن سلوكها ، وعن طقوسهـــا ، وعاداتها ، وتقاليدها •

كان الهنود الحمر الشـغل الشـــاغل لهؤلاء المســتكشفين ، ولمن خلفهم من الاوربيين ممن كان هؤلاء المستكشفون يرسلون اليهم بأبناء الغزو وأبناء الاستكشاف •

كان المستكشفون ، وبخاصة الاسبان ، يسألون أنفسهم هذه الأسئلة :

هل هؤلاء من البشر ؟ واذا كانوا فهل هم أهـــل للهداية وللتحول الى الدين المسيحى ؟ •

ان التوراة والانجيل لم يشيرا ولو اشارة عابرة الى هذه القارات الجديدة ، والى من يسكنهـــا من البشر • ومن هنا كانت هذه الأســـئلة التى وقف عندها المستكشفون •

كان من السهل عليهم ان ينتهوا الى ان هـــذه الجماعات من الهنود انما هى من نسل اسرائيل • انها من القبائل العشر التى حكم الله عليها بالتيه ـ فضلت طريقها ، ولم تصل الى ديارهـــا فى أرض كنعان • ولم ينبههم الى ما فى هذا التفسير من خطأ الا اكتشافهم لقارة أخرى هى استراليا • ان التفسير الأول قد استهلك ولم يعد صالحا لهـــذه الأرض الجديدة ، ولهؤلاء الاقوام المنتشرين فيها من سكان استراليا الأقدمين •

ومرة ثانية أسعفهم الكتاب المقدس بالتفسير • ان هؤلاء الأقوام من نسل نوح • من نسل أبنائه الذين تفرقوا فى الارض وتكاثروا وتناسلوا وعرفوا بالساميين أو الحاميين • وارتضوا هذا التفسيـر طبعا ومضوا عليه فى حياتهم بضعة قرون •

غير أن المسألة لم تقف عند هذا الحد ، فقد كان عليهم أن يفكروا فى هؤلاء الناس ، وكيف يجب تسخيرهم والتعاون معهم • وهنا نشأت مشكلة التقاء الثقافات ، والتفاعل فيما بينها ، وكيف يتم التفاعل ؟ والى أين تنتهى النتائج •

« ٢ »

لم تكن العلاقة بين المستكشفين والمستعمرين من جانب وبين سكان البلاد المستكشــفة أو المستعمرة من جانب آخر الا علاقة انتفاع واستغلال وتسخير • فالملاحون البرتغاليون وكولومبوس ما كانوا يبحثون الا عن طريق للتجارة ـ طريق يشقونها ويستخدمونها جريا وراء الكسب المادى والمتعـــة النفســـية • والمســـتعمرون الأوربيون كانوا يبحثون عن أراض بكر يعمرونها ويستغلونها ، وعن أسواق يصرفون فيها منتجاتهم ، ويســـتوردون منها المواد الخام اللازمة للصناعة •

ولم تكن العلاقة بين أولئك وهـــؤلاء قائمة على أسس انســانية تدفع الى حسن الجوار وحسن التفـــاهم ، بل كانت قائمة ، وبكل اسف ، على أساس من عدم المعرفة ومن الجهل الثقافى ومن هنا أدت الى العداوة والبغضاء ، أو الى تحطيم الشعوب والقضاء على مقوماتها •

وتبين المستعمرون انه يتعـــين عليهم أن يفهموا أساس سلوك هذه الشعوب المغلوبة على أمرها اذا أرادوا نجاحا فى حكمها ، وفى توجيه عملها الوجهة التى تحقق مصالح الاستعمار •

وأدرك المستعمرون أن ســـلوك تلك الشعوب محبوك ومرتبط وملائم للنمط الثقافى ، وأن وسائل التـــدخل القسرى الغليظة ، ووســـائل القمـــع

والاعتساف ، تدفع دائما الى المقاومة ، وتؤدى دائما الى عدم تحقق الاهداف ـ غير أن هذا الادراك جاء متأخرا فيما يتعلق باستثماره فى تحقيق أهداف المستعمر ، ونجاح الاستعمار .

ان تجاهل الاعتبارات الثقافية واغفال أمرها فى اقامة العلاقات الانسانية هو الذى تسبب فى انكار الاستعمار ، وتحطيمه تحطيما .

يقول أحد الكتاب الاستعماريين : **ان من أخطر الأمور التى تواجهنا الصعوبة المستمرة أمامنا لفهم ثقافات غيرنا فى عالم زاخر بالحساسية القومية ، وبالصراع من أجل السيطرة ، وبالروح المتخلفة من ذكريات الاستعمار . ولكى نمضى قدما بنجاح فى عالم كهذا ، علينا ان نزود انفسنا بالفهم الأساسى للقوة الجبارة التى تمثلها الثقافة ، ثم نقرن ذلك بالبصيرة التى تمكننا من الاستجابة المستنيرة لما تحويه فى طياتها من حيل وافانين .**

« ٣ »

ان بقاء ثقافة ما ـ اذا ما تعرضت لأخطار الاستغلال ـ يتوقف على مستوى تطورها الآلى الفنى ، وعلى كثافة سكانها .

ان كثافة السكان هى التى تزود القوم بنوع من الحصانة ، وهى التى تكون أبدا ضمانا ضد الانقراض .

ان كثافة السكان هو الذى يفسر لنا الفروق الشاسعة بين استعمار الدنيا الجديدة ، والعالم القديم .

ان المستعمرين لم يستطيعوا العيش الدائم ، والاستقرار فى المناطق التى استعمروها فى العالم القديم لسبب بسيط جدا **هو أن تلك المناطق كانت فعلا كثيفة السكان ، وأن السكان لم يذعنوا لوطأة الضغط الاوربى ، وانهم بذلك لم يزودوا المستعمر بالمساحة غير الآهلة بالسكان اللازمة لمشروعات الاستقرار ـ ومن هنا لا نجد أقاليم تقتصر سكناها على الاوربيين ، لا فى الهند ولا فى جنوب شرقى آسيا .**

أما فى الدنيا الجديدة فقد كانت الاراضى الواسعة سكنا لجماعات قليلة العدد تعيش على الصيد وجمع الثمار . جماعات متفرقة لا تشكل أبدا ، فى أية منطقة من المناطق ، عددا كثيفا من السكان ـ ومن هنا لم تتمكن هذه الجماعات من المحافظة على اقتصادياتها ، وطرز معيشتها ، واسلوب حياتها ، وبذلك ذابت وانقرضت ، وحل محلها الأوربيون .

« ٤ »

هناك ظاهرة تثقيف تلقائى هى ثمرة طبيعية لأى مجتمع فى أى وضع يكون ـ وذلك واقع اجتماعى حتى فى المجتمعات البدائية .

هذا الواقع الاجتماعى ظل زمنا طويلا دون تحديد ـ اى انه ظل مجرد شىء عار عن التسمية . وبذلك لم يتح له أن يصبح فكرة من الأفكار او معنى من المعانى .

ان المصريين واليونانيين والرومان الاقدمين كانت لهم ثقافاتهم وحضاراتهم ـ ولكن لا العبقرية المصرية ، ولا العبقرية اليونانية ، ولا العبقرية الرومانية استطاعت أن تبتكر لفظا تطلقه عنوانا على ثقافتها .

ان فكرة ثقافة فكرة حديثة ابتكرتها العبقرية الأوربية بعد أن خرجت من ديارها باحثة عن طرق للتجارة وأسواق لها ، وبعد أن اكتشفت قارات جديدة واقوام جدد ما كانت تعرف عنهم شيئا .

ان الفضل كل الفضل فى ابتكار لفظة ثقافة واطلاقها على ظاهرة التثقيف أو على هذا الواقع الاجتماعى انما يرجع فى الحقيقة الى ما قام به الرواد الأولون من كشف بقاع كانت مجهولة لنا ، وما كنا نعرف شيئا عن نشاط مجتمعاتها ، وأساليب حياتها ، وتنوع تقاليدها .

ان هذا الكشف هو الذى زاد من وعينا الثقافى بغيرنا وبأنفسنا ، وجعلنا ندرك أهمية الثقافة فى المجالات الدولية وفى العلاقات الانسانية .

ان فهم كل مجتمع لتراثه ، ومعرفته بتراث ثقافات الشعوب الأخرى هو الوسيلة الفعالة فى تقارب الشعوب ، وقيام علاقات حسنة فيما بينها .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

القرآن وشهر رمضان

بقلم : الدكتور طه الحاجري

التقليد الذى جرى عليه المسلمون من احياء شهر رمضان بالقرآن تقليد من أكرم التقاليد التى جروا عليها ، واستمسكوا بها ، والتى يجب أن يحرصوا أشد الحرص على استبقائها .

ذلك أن الصلة بين شهر رمضان والقرآن صلة وثيقة عريقة .

قال الله تعالى ، فى الآيات التى شرع بها الصوم ، صوم هذا الشهر :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

فكأن اختيار هذا الشهر لهذه الفريضة كان لهذه المأثرة التى اختص بها .

ولا نريد أن نعرض هنا لبيان المراد بنزول القرآن فى شهر رمضان ، وهل يعنى ذلك أن القرآن أنزل أول ما أنزل فيه ، اذ كان انما انزل منجما ، فالمراد بنزوله فيه نزول اول سورة منه ، أو ان تأويل ذلك ما يحكى عن ابن عباس – على سبيل الرمز – من « انه نزل جملة واحدة الى سماء الدنيا ، فجعل فى بيت العزة ، مكتوبا فى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة ، فى أجوبة السائلين والنوازل الحادثة » .

لا نريد أن نعرض لشىء من هذا ، فايا كان الامر فشهر رمضان مرتبط ارتباطا قويا بالقرآن ، فى نزوله ، حتى ليمكن اعتبار هذا الشهر عيد الاسلام الأول ، اذا نحن أخذنا فى استقصاء الأحداث الكبرى والمشاهد العظمى والتواريخ الفاصلة فى الاسلام ، فلا ريب أن شهر رمضان يقع من هذه التواريخ فى راسها ، اذ كان هو تاريخ الاشراقة الاولى لهذا الدين ، واذ كان القرآن هو أساس الدعوة ، ومبدأ هذا التحول الخطير الذى انتقل به العرب ، والانسانية عامة ، من طور الى طور .

ذلك هو مكان هذا الشهر من تاريخ الاسلام ، بل من تاريخ الانسانية عامة ، وتلك هى المنزلة التى يجب أن يكون المسلمون على ذكر دائم منها ، وتقدير دائم لها ، فيمجدوها وينوهوا بها ، ويتخذوا لهذا التمجيد والتنويه كل وسيلة .

وهذه المنزلة انما اتيحت لهذا الشهر بفضل القرآن ، فينبغى أن يكون القرآن محور الاحتفاء بهذا الشهر ، والاحتفال بهذا العيد الأول ، وذلك بقراءته وترتيله وتامله ، والنظر فى أحكامه ، ودراسته من نواحيه المختلفة ، واستخلاص أصوله ومبادئه وامداد النوازع الروحية منه بما يقويها ويرهفها ، وامداد الذوق اللغوى منه بما يهذبه ويصقله ، الى غير ذلك مما لا سبيل الى استقصائه هنا .

والواقع ان كتابا من الكتب لم يتح له ما اتيح للقرآن من دراسات تداخل شتى نواحى المعرفة ، فيما كتب من ذلك فى رواياته وقراءاته ، وكانت دراسة القراءات مجالا واسعا ظفرت فيه دراسة اللهجات وعلم الاصوات بنصيب موفور ، وفى تفسيره وتاويله ، وكانت كتب التفسير مجالا رحيبا للفكر الاسلامى بنوازعه المختلفة – كما نرى صورة من ذلك فى تفسير الفخر الرازى من المتقدمين ، وفى تفسير جواهر القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى بين المعاصرين – وفى أحكامه وتشريعه ، وفى بلاغته واعجازه ، الى غير ذلك مما يعتبر القرآن مبدأه ومثاره ، فى العصور المختلفة .

فالقرآن هو الذى فتح للمسلمين الآفاق الفكرية المختلفة التى برزوا فيها ، كما كان فى أول أمره هو الذى فتح للعرب باب الاسلام الذى ولجوا منه الى ذلك المجد الخالد ، وتبوءوا به ذلك المكان الشامخ فى تاريخ الانسانية .

فهذا الكتاب هو معجزة الاسلام الدعية اليه : به قامت الدعوة ، كما تمثلت فيه الرسالة الجديدة . وقد استطاع أن ينفذ فى نفوس العرب الاولين ، ويتغلغل الى أعماقهم ، باسلوبه وصوره ومعانيه جميعا ، فقد نبه فيهم الحاسة البيانية – وهى من أدق حواسهم وارهفها واشدها سيطرة عليهم وتوجيها لهم الى ما فيه من جاذبية فنية لم يملكوا الا التسليم لها والاذعان لقوتها ، كما نبه العاطفة الدينية العامة الكامنة فى قرارات نفوسهم الى مثله الدينية العالية ، وبذلك كان منذ عهد الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، الاصل فى الدعوة ، وأساس هذه الرسالة التى جاء بها .

فمنذ أخذت آيات القرآن تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم – وهو يتلوها ويرتلها ، ويقيم بها صلاته ، ويدعو الناس بها الى الاسلام – أخذت تثير فى جو العرب طائفة مختلفة من المشاعر والأحاسيس سيطرت عليهم وتملكت نفوسهم ،

اذ كانت هذه الآيات قد أخذت تتسلل الى اعماق قلوبهم ، فتصل الى أقصى مواطن الاعجاب لديهم ، فتكاد تملك عليهم أمرهم ، لولا ما يعترضها من الف وعصبية . فهم منه بين الاعجاب به والاذعان له ، وبين الخوف منه والفزع من آثاره . انه يستميلهم أشد الميل ، ويجتذبهم نحوه في قوة لاتكاد تقاوم ، ولكن الخوف لا يلبث حتى يعترض نفوسهم ، ويقف بينهم وبينه .

هذا التأثير البيانى القوى ، وهذه الروحانية البليغة النفاذة ، كانا من اقوى ما ملك على العرب امرهم لقاء هذا الدين الجديد ، كما نتمثله فى كثير من المشاهد التى تحكيها كتب السيرة ، كقصة ابى الوليد عتبة بن ربيعه ، حين بعثه قومه ، بعد اسلام حمزة ، الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يحاول — بزعمه — أن يخدعه عن أمره ، ويصرفه عن سبيله ، ويصده عن غايته ، فمضى اليه ، وأخذ يحدثه بكلام زوره فى نفسه ، وأعده لهذا الموقف ، فقال له : « يا بن أخى ، انك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها » . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل يا أبا الوليد أسمع » فقال أبو الوليد : « يا بن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

حتى اذا فرغ عتبة من هذا الحديث ، وظن عند نفسه انه قد بلغ من نفس محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ما يريد ، قال رسول عليه السلام : « أقد فرغت ؟ اذن فاستمع منى » . فماذا رد به الرسول عليه ؟ انها آيات من سورة فصلت جعل يتلوها عليه :

« حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون . قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد، فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم كافرون ... » .

ومضى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يتلو آيات الله ، وعتبة منصت لما يسمع ، مأخوذ به ، وقد مثل فى هيئة المستسلم ، فجعل يديه وراء ظهره معتمدا عليهما ، كما تصوره كتب السيرة . ثم رجع الى قومه بوجه غير الوجه الذى ذهب به ، لما كان يعتمل فى نفسه . فلما سئل عما وراءه ، قال : « ورائى انى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ... » .

وفى هذه الآيات التى تلاها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على عتبة بن ربيعة ما يصور الحالة النفسية التى استبدت بالعرب لقاء هذه الروعة البيانية ، كقوله تعالى : « وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب » ، فمثل هذا القول لا يكاد يصدر الا عن نفس مأخوذة قد غلبت على امرها ، فهى تحاول أن تقمع حسها وان تكبت مشاعرها ومن ذلك ايضا ما يحكيه جل شأنه عنهم . تصويرا لمغالبتهم هذه الجاذبية البيانية : « وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

ولكن هذه الروعة البيانية التى جاء بها القرآن كانت أقوى من أن تغلب ، كما كان الحس اللغوى عند العرب أشد سلطانا عليهم وامتلاكا لزمامهم وقيادة لهم من ان يخضع لهذه المحاولات التى كانوا يحاولونها فرارا بانفسهم من تأثير تلك الجاذبية ، كالذى تراه فى قصة هؤلاء النفر الذين كانوا يسعون فى خفية واستحياء الى حيث يستمعون الى الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وهو يرتل القرآن فى جنح الليل ، فاذا أطلع بعضهم على أمر بعض ، فجعلوا يتلاومون ويتقاسمون الا يعودوا الى ما أقدم عليه كل منهم من هذا المنكر — زعموا — لم يملكوا أنفسهم ازاء هذه الجاذبية البيانية ، ولم يستطيعوا مقاومة هذا الاغراء الشديد ، فجعلوا يعودون ثانية وثالثة فى خفية وتنكر واستحياء .

وهذه القصة حكاها ابن اسحاق عن الزهرى : « ان ابا سفيان بن حرب ، وأبا جهل ابن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى

بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا · حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا · حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد الا نعود · فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا » ·

هكذا كان موقف بعض العرب من هذه الجاذبية البيانية والروحانية القوية التى كان يمثلها القرآن ، واضطرابهم بين الاصغاء اليها والنفور منها ، وبين الميل نحوها بدافع ذلك الحس البيانى القوى عندهم ، والاعراض عنها حسدا وبغيا وخوفا على ما كانوا يتمتعون به من مكانة فى العرب ورياسة عليهم ·

على ان هذه الجاذبية وتلك الروحانية كان لهما أكبر الاثر فى اسلام من اسلم من العامة والخاصة · ونحن نعرف بعد قصة اسلام عمر بن الخطاب ، فليس اسلامه فى كلتا الروايتين اللتين ترويان فى صفة اسلامه وملابسات اعتناقه هذا الدين الا مظهرا من مظاهر طواعية الحاسة البيانية عنده لما فى القرآن من جاذبية وروحانية ·

فاما أولى هاتين الروايتين فتذهب الى أن عمر دخل على أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت ومعه صحيفة فيها سورة طه ، يقرئهما اياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب فى مخدع لهم ، او فى بعض البيت ، واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، ··· ولكن عمر استطاع ان يأخذ الصحيفة ويقرأ فيها ، فاذا نفسه تهش ، واذا قلبه ينشرح ، واذا هو يذهب الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيعلن اسلامه ·

وأما الرواية الاخرى فتذهب الى ان عمر مر بالكعبة ، وهو فى طريقه الى خمار كان يشرب عنده ، يريد أن يطوف بها ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فانصت اليه وهو يقرأ القرآن ، فرق قلبه ، ثم لم يلبث — بعد ان مضى الرسول صلى الله عليه وسلم الى بيته — أن مضى اليه وأعلن اسلامه ·

ومثل ذلك قصة اسلام أبى عمرو الطفيل الدوسى ، وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، وكان قد قدم مكة ، فاستقبله رجال قريش ، وأرادوا أن يصدوه عن لقاء محمد ، وقالوا له — فيما قالوا — : « يا طفيل ، انك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين اظهرنا قد اعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت امرنا ، وانما قوله كالسحر : يفرق بين الرجل وابيه ، وبين الرجل واخيه ، وبين الرجل وزوجته ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ، ولا تسمعن منه شيئا » · وبمثل هذا أرادوا أن يحولوا بين الطفيل وهذه الجاذبية البيانية التى لابد أن تفعل فعلها ، اذا ما أتيح للطفيل أن يتعرض لها ·

ومع تأثر الطفيل بما سمع من رجال قريش ، وعزمه على أن يبتعد عن محمد ويمتنع من الاستماع اليه ، فان آيات القرآن التى كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يرتلها وهو فى المسجد ، لم تلبث أن اقتحمت أذنيه ، ومضت الى قلبه ، فاذا عزيمته تتحلل ، واذا هو يحدث نفسه قائلا : « واثكل أمى ! والله انى لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على الحسن من القبيح ! فما يمنعنى من أن اسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته ؟ » ·

وهكذا مضى الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فى بيته ، فتلا عليه الرسول القرآن ، فاذا هو لا يملك أن يصد نفسه عن الاذعان له : والايمان به ، واعلان اسلامه ·

ذلك كان اثر القرآن الاول فى الدعوة الى هذا الدين الذى أحدث ذلك التحول الخطير فى حياة العرب ومكانهم وتاريخهم ، ثم فى تاريخ الانسانية عامة ·

وظل القرآن ماضيا فى اداء هذه الرسالة الكبرى ، فى نواحى الحياة المختلفة ، مما أشرنا الى طرف منه فى أول هذه الكلمة · وما زال هذا الكتاب الكريم فى مكانه من اثارة حوافز التقدم والتطور ، واحياء مثل الخير والكمال الانسانى ·

واذ كان شهر رمضان هو التاريخ الذى يرتبط بالقرآن ارتباطا وثيقا ، على النحو الذى بينا ، فما اجدره أن يكون عيد الاسلام الاول ، وان تجعل منه المحافل والمجامع والهيئات المختلفة موسما للدرس والتدارس فى القرآن ، وفى شتى نواحى الحياة الاسلامية ، فى صوره التى تتفق مع مناهج الدرس العلمى · وبذلك يكون احياء هذا الشهر احياء حقيقيا لنا ، ووسيلة مثلى من وسائل النهوض بكياننا ، وتحقيق أهدافنا ·

طه الحاجرى

الروح صاعدة من المادة
لا هابطة إليها

بقلم عبد المنعم خلاف

مقالة القرآن في خلق الكائن الانساني بجسمه وروحه من طين الأرض وعناصرها واخلاطها ، مقالة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ... ومع ذلك قد مضى هذا الدهر الطويل على العقل الاسلامي بعد بداهته الفطرية وصحوه العربي وقت نزول القرآن وقبل أن تلحقه تهويجات الأمم وشطحات الشعوب الأخرى ، وهو غافل عن تلك الحقيقة الواضحة التي يقررها القرآن ، تاركا للعقل العلمي الحديث أن يصل الى ما كان يجب أن يصل اليه هو قديما قبل غيره ، فتزيل أسباب الشك والجدل الطويل الذي ثار بين العقل الديني بوجه عام والعقل العلمي جدلا قد ينتهي بالثاني الى الالحاد والانكار لأصول المعتقدات الدينية ، بحجة أن ذلك الراى المزعوم للدين في الروح ووجودها المستقل قبل اتصالها بالجسم ، راى يخالف راى العلم ولا يتفق مع سنن التركيب المادي لأجسام الأحياء ، والنشأة الفطرية الظاهرة لها ولا مع طبيعة تشوء الانسان ونموه وخروجه من ذهول الطفولة وجهل الصبا وطيش الشباب وعقل الرجولة الى الدور الأخير من حياته ، دور الهرم والتهدم والارتداد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا .. فضلا عن أنه يضيف الى نطاق الغيبيات مالا ضرورة لدخوله فيه ، وما لم يات به علم أو كتاب وحي الهي مبين .. اذ أن نشأة الانسان والحيوان والنبات هي من عالم المشاهدة والصحو العقلي الذي اعتمد عليه القرآن في اثبات علاقة الآيات والعجائب الظاهرة التي تملأ جنبات الحياة ، بالخالق المنشيء وفي اثبات دلالتها القطعية على وجوده وعلمه وقدرته وارادته ..

ولا باس أن نعود فنستطرد الى التنويه بصحو العقل العربي الفطري وعدم تهويمه وانسلاخه كثيرا وراء البدوات والخرافات التي سادت عقول الشعوب الأخرى ، وخاصة فيعصور ما قبل الاسلام ، كالهند والفرس واليونان والرومان ، وجعلتها تعيش في عالم وهمي ، تمتزج فيه الأساطير والخرافاتوالأوهام حول آلهة مزعومة فيها طيش البشر ونزقهم وحقدهم وضغينتهم وصغاراتهم وشهواتهم وعلاقاتهم المختلفة في الحب والبغض والخطأ والنسيان ، وبها بطولاتهم التي لا تبلغ حدود ما يوحي به الكون من عظمة وكمالات لا تتناهى في الذات الالاهية الواحدة .

وأحسب أن صحو العقل العربي وعدم شروده كثيرا الى عالم التهاويل والتكاذيب والخرافات كان أكبر ميزة رشحته لان ينزل عليه القرآن بذلك النسق الاثباتي الجميل الذي أثبت حقائق الكون ووضح معالمه وجعل العقل البشري يرى كل شيء فيه بوضوح ..

ولئن كان بعض النقاد المحدثين يعيبون على العقل العربي في مجال الشعر والفن أنه محدود الخيال ضعيف الجناح ضيق التصور للأوهام الجميلة والاشباحالمستحيلة التي تبدو في أكثر «الميثولوجي» والأساطير الشعبية في الأمم الأخرى ، فاننا نرى أن تلك الظاهرة جعلت العقل العربي اقرب الى أن يكون عقلا علميا رشيدا صالحا لأن يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فيواجه به عصر العلم والرشد ويؤهل الناسللعيش فيهوالوصول بمنطقه واسلوبه الى ادراك أسرار الله في التكوين المادي والى تأويل مالم يحيطوا بعلمه .

ولكن العقل العربي ، بعد أن تسربت اليه أوهام الأمم والشعوب الاخرى في العصر العباسي ، أخذ يفقد هذه الميزة الكبرى ويقول مقالات تلكالشعوب في امور خطيرة ، كخساسة المادة وشرف الروح ، واستقلال جوهرها ، ووجودها القديم ، وعلمها وحكمتها وطهارتها ، وهبوطها من العالم الأعلى وانطلاقها منفصلة من ذات الله سبحانه وحلولها في الأجسام ، وتناسخها وتنقلها في درجات الانسانية والحيوانية مرة بعد مرة على نحو ما ذهبت اليه بعض الفلسفات والصوفيات مما أدخل العقل العربي والعقل الاسلامي في « جحور الضباب الخربة » المظلمة التيليس فيها ذلكالوضوح في رؤية معالم الكون وحدوده كما يجليها القرآن للعقل الصاحي والفؤاد اليقظان .. فاذا أبو العلاء المعري ، مع أنه من العقليين ، يقول :

تجاوز هذا الجسم والروح برهة
فما برحت تأذى بذاك وتصبدأ

وإذا بشيخ الفلاسفة والأطباء الاسلاميين (ابن سينا) يرسل رأيه في الروح وجوهرها واستقلالها وادراكها وعلاقتها بالجسم وسجنها فيه وتبرمها به ، في تلك القصيدة الدينية المشهورة :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

انفت وما انست فلما واصلت
الفت مجاورة الخراب البلقع

واظنها نسيت عهودا بالحمى
ومنازلا بفراقها لم تقنع

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
في ميم مركزها بذات الأجرع

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع

تبكي اذا ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمي ولما تقطع

وتظل ساجعة على الدمن التي
درست بتكرار الرياح الأربع

اذعاقها الشرك الكثيف وصدها
قفص عن الأوج الفسيح المربع

الى آخر تلك القصيدة التي هي أوضح تعبير عن الذي شاع بين المسلمين عن (الروح) في العصور التي تلت عصر الفطرة والبداهة التي نزل عليها القرآن والذي ظل مسيطرا على أغلب الأفكار منذ تلك العصور للآن .

وأمثال معاني هذه القصيدة تسربت الى العقل الاسلامي من فلسفة أفلاطون والاشراقية الحديثة عن وجود « عالم المثل » ومن الآراء الهندية الهائمة التائهة في الوثنيات ، والتي صاحبها اختلاف التفكير وغيام الذهن من أثر الرياضة العنيفة التي تلجأ اليها سعيا وراء الخلاص والانطلاق من منطق المادة .

وقد ظل العقل الاسلامي أسير هذه التخليطات البعيدة عن منطق العلم ومنطق القرآن ، وذهبت عقول كثيرة ضحايا لهذه التخليطات ، كعقل (الحلاج) الذي هو أوضح مثل لاعتناق مذهب « الحلول » ، وكعقل محيي الدين بن عربي في الحديث وهما من امثلة اعتناق مذهب « وحدة الوجود » .

وقد كان مبعث هذه الأوهام التي تسربت الى عقل الانسان في جميع العصور فصرفته عن الفطرة ومنطق العلم في ادراك شأن الروح ، هو ذلك الشعور بالفارق العظيم ومدى الانتقال بين حالة المادة وجمودها وكثافتها وعماها وعدم ادراكها وبين حالة الانسان الحي مثلا بعد أن تلبسه الحياة فتجعله ينمو ويتحرك ويتنفس ويشعر ويدرك ويتفتح عن كائن معنوي عاقل خصيم مبين يتطلع الى ما وراء عالمه المادي ويتناول المادة بالتنقيح والتهذيب والتوليد ، بما أودع فيه من قوة الخلق والابتكار واكتشاف المجهول واكتناه الأسرار ، مما جعل عقل الانسان نفسه يحار ويتساءل : عن نفسه وعن الحياة وكيف استحدثت الروح والعقل من هذه المادة الجامدة الصماء العمياء !!

وحق للعقل أن يقف هذا الموقف ويحار هذه الحيرة ويتلمس أسباب التفسير لهذه الظاهرة العجيبة ويرتمي في سبيل الوصول الى ذلك في مرامي الظنون والفروض البعيدة والغريبة بين فلسفة اليونان وصوفية الهنود .. فان العقل ما خلق الا لهذا التساؤل والاستهداء وتلمس تأويل قصة الحياة وقصة منشئها ! وكذا العقل العلمي الحديث لا يزال واقفا امام لغز الحياة ونشوئها نفس موقف التساؤل والحيرة وتلمس أسباب نشوئها ، على طريقته وأسلوبه .. ولا يزال عاجزا عن تفسير هذا اللغز ، وقد ذهب بعضه في تعليل ظهور الحياة على الأرض الى أن جرثومة الحياة ربما تكون قد سقطت الى الأرض عالقة بجسم قد هوى اليها من السماء ، ثم نمت وتكاثرت وتعددت في أطوار

النشوء والترقي حتى وصلت الى الحيوانات العليا .

وهكذا عدنا الى هبوط للحياة والروح من عالم أعلى ولكنه هبوط من نوع آخر غير ذلك الذى ذهب اليه افلاطون وابن سينا وغيرهما ... وكان مادة السماء لم يثبت العلم ذاته انها هي نفس مادة الارض بعناصرها وخصائصها ، فنشوء الحياة منها هي أيضا يحتاج الى مثل هذا العناء والخلط والخبط والفروض التى ذهب اليها العلم والفلسفة والتصرف . ... وان هذا الأمر فى غاية البساطة اذا استهدينا بضوء الحقيقة التى سبق أن وجهنا الأنظار اليها ، وهي أن ظهور الحياة والروح ليس أعجب من ظهور المادة ، وأن خلق الانسان والحيوان ليس أكبر من خلق السموات والأرض ، حتى نحار فيه ، واذا ما استهدينا كذلك بضوء حقيقة أخرى هي أيسر الوسائل للوصول الى حل جميع ما نلاقيه فى الحياة من ألغاز وأسرار ، الا وهي تصوير القرآن لقدرة الله الخالق تصويرا مأخوذا عن المدى اللا نهائى للصنع الدقيق والجليل والهائل فى التركيب المادى للكون ، وان ليس شيء أمام قدرة الله بمستحيل اذا أراده وقال له كن !

وحسبنا ان نذكر من القرآن هذه الآيات « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، « أو لم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أنه يخلق مثلهم ؟! » « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ؟ انا خلقناهم من طين لازب» «أانتم اشد خلقا أم السماء بناها ؟! » ، « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » ، « وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » ، « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » ، « فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » ، « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله» . «وماقدروا الله حق قدره ! والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » ، « وسع كرسيه السموات والأرض » .

فلا داعى اذن لتوقف العقل الدينى المنحرف وشروده من العقل العلمى هذا التوقف الطويل للتساؤل عن المعبر الذى عبرت عليه الحياة الى المادة فكان الحيوان والانسان بعد أن علمنا أن أى وجود مهما عظم لا يعدو أن يكون استجابة حتمية « لأمر » من الله الخالق يصدره اليه أن يكون فيكون .. وبعد أن علمنا كذلك أن نشوء الكائن الانسانى بجسمه وروحه من المادة وحدها لا يجوز أن يزرى بقيمته أو يقلل من شأن الصنعة فيه ، بل على العكس ان نشوءه من المادة هو أعظم ما يثير العجب ويأخذ بالألباب الى التفاعل والاستغراق فى التفكير والاسراع الى الاقرار بقدرة الخالق التى تخرج من الطين اللازب والحمأ المسنون والماء المهين هذا الكائن السميع البصير الخصيم المبين الذى علمه الله الأسماء كلها مما فى غيب السموات والأرض وأسجد له الملائكة تكريما وتشريفا ، وفتح له أبواب الطبيعة ومغاليق اسرارها ؟!

فيجب أن يزول من الأذهان ذلك الوهم والزعم القديم بأن عالم المادة عالم خسيس ، لا يليق بشرف الروح أن ينبثق من ظلماته وكثافاته وامشاجه وأخلاطه ، وذلك الزعم بأن الروح جوهر مستقل عن الجسم قد هبط اليه من العالم الأعلى ليسجن فيه ويتعذب ويشقى بجواره برهة من الزمن ، ثم يتناسخ بعدها ويتقمص أجساما أخرى انسانية وحيوانية .. الى آخر تلك الشطحات ..

والأمر قبل ذلك وبعده أمر نصوص قرآنية صريحة متواترة فى تكوين الانسان وانشائه من طين الأرض وحدها ، وللعلم بعد ذلك أن يحاول بأسلوبه وادواته تفسير ذلك النشوء باجتماع حالات كيمائية وحيوية (بيولوجية) وعضوية (فسيولوجية) ومناخية ، وبترتيبها ترتيبا بتوجيه و « أمر » من الخالق الذى (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

وموعدنا الحديث التالى لبيان مزيد من تلك النصوص القرآنية القاطعة فى نشأة الانسان من المادة .

عبد المنعم خلاف

المنهج الدراسي للأدب الصوفي

بقلم : عبد الكريم الخطيب

انتهينا في نظرتنا الى الأدب الصوفي الى نتيجة اعتبرناها حكما لازما لدراسة هذا الأدب .. وهذه النتيجة هي عزل الأدب الصوفي الذي نشأ ، ونما ، ونضج في أرض التصوف أو في سمائه – عزله عزلا تاما عن الأدب كله . وذلك باعتباره أدبا مستقلا – بذاته ، وبخصائصه ومقوماته عن الأدب العربي ، شعرا ونثرا .. بمعنى أنه يناظر هذا الأدب ويقابله ، ويلقاه على مستوى العصور الأدبية عصرا عصرا .. قوة وضعفا ، علوا واسفافا .

واذا كان قد ساغ لنا أن نقسم شخصية رجل التصوف الى ذاتين : ذاته قبل التصوف ، وذاته في التصوف ، ثم سوغ لنا ذلك أن نجعل لكل ذات من ذاتيه هاتين أدبها الذي نجم في ظلها – اذا كان قد ساغ لنا ذلك فانه يسوغ لنا أيضا ان نجعل أدب التصوف: أدبا قائما بذاته ، مستقلا بوجوده ،منفردا بالفاظه ، ومعانيه ، واخيلته ، وتصوراته ، وصوره .

فالأدب العربي اذن أدبان : أدب عام ، وأدب خاص أو أدب غير المتصوفة ، وأدب المتصوفة :

وهنا يلقانا هذا السؤال :

اذا استطعنا أن نخلص الأدب الصوفي من الأدب العام ، وأن نفرد له ديوانا خاصا ، يجمع أشتاته ويضم بعيده وقريبه ، وشعره ونثره –فما هو المنهج الذي يدرس به هذا الأدب ؟ وما المعايير التي تضبط بها شوارده ، وشطحاته ، وما المفاتيح التي تفتح بها أغلاق طلاسمه ، ورموزه ، ومعمياته ؟ . وهل للأديب – غير الصوفي – أن ينظر في هذا الأدب ، وأن يصدر أحكامه عليه ، ثم يكون لهذه الأحكام مستندها من الحق والعدل ؟ .

وندع الجواب على هذا .. وننظر في الأدب الصوفي ، ونتعرف على طبيعة الدوافع التي دفعت به الى الحياة ، ففي هذا نجد الجواب على سؤالنا هذا ، وما يتفرع عنه !

ونظرة في حياة المتصوفة ، وفي الطريق الذي يسلكونه في هذه الحياة ، وفي المنازع والخواطر المسلطة عليهم في حياتهم تلك ، وفي الرؤى والتطلعات المستولية على وجودهم في هذا الطريق – نظرة الى هذا كله ترينا أن المتصوف انما ينزع بوجوده كله نحو « المطلق » .. وهو لتحقيق هذه الغاية يحاول جاهدا أن يتفلت من قيود الزمان ، وحدود المكان ، وأن « ينجذب » بعيدا عن دائرة الوعي اليقظ الذي يحاول أن يقيده باحكام المنطق ويجمده في قوالب « الأشياء » التي صنعها العقل بمقاييسه ، وبحدود معارفه .

فالصوفي – بهذا المعنى – منخلع عن عالم الحس بباطنه –على الأقل– ان لم ينخلع عنه بباطنه وظاهره جميعا .

واذن فهو لا يأخذ عالم « الاشياء » بالمقاييس التي ألفها الناس ، وتواضعوا عليها ، ولا تبدو لعينيه هذه الأشياء على الصورة التي نتصورها . ولا يقيسها بالمقياس الذي نقيسها به .. ومن أجل هذا كان له عالمه ، وله أشياؤه التي تختلف اختلافا ظاهرا عن عالمنا وعن أشيائنا .. فما نراه عظيما معجبا قد يراه هو حقيرا تافها ، وماتراه حسنا جميلا قد يعده هو رذلا سخيفا .. !

ومن هنا يجيء الأدب الصوفي في صور تتحدى – من غير قصد – العرف العام كله في جميع مواضعاته ومفاهيمه – الذهنية ، والمادية – فلايحفل هذا الادب بشيء من هذه المواضعات وتلك المفاهيم ولا يقف عند حدودها ، وانما ينزل الى واقع الحياة ويتحرك بين الأحياء بصورته التي انطلق بها من فم « المتصوف » كما أحس به وتصوره وصوره ! ولهذا يبدو غريبا خارجا خروجا صارخا على مألوف الناس وعلى طبيعة الحياة التي يحيونها ، فينكرونه ، أو يرجمونه ، شأن الناس مع كل خارج على ما ألفوا وما اعتادوا .. وفي قصة أصحاب الكهف اشارة بليغة الى هذا الطبع المندس في كيان الناس ، حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان أصحاب الكهف في وصاتهم لصاحبهم ، وقد بعثوا به الى المدينة ليأتيهم بطعام : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاما ، فليأتكم برزق منه وليتلطف ولايشعرن بكم أحدا ، انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا اذن أبدا » .

هذا ، واستمع الى قول ابن عربي :

توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سر
والا تيمم بالصعيد وبالصخر !!

وقــــدم اماما كنت أنت امامه
وصل صلاة الفجر في أول العصر ؟!
فهذى صـــلاة العـــارفين بربهم
فان كنت منهم فانضح البر بالبحر !!

فهل تستقبل النفس هذا الـــكلام الا في دهش وعجب واستغراب ، دونه هـــذا العجب والدهش والاستغراب الذى قوبل به صاحب أصحاب الكهف حين طلع الناس من أحشاء الزمن بعد ثلاث مئــة سنين وتسع ؟ .

ان الانســـان – غير الصــوفي – حين يقف في مواجهة هذا القول تطلع عليه منه صــــور الحقائق مقلوبة ممسوخة ، فلا يكون له معه شأن الا على احد أمرين : فاما أن يعده هذيانا من الكلام ، ولغــوا من القول ، وباطلا من الحديث ، فلا يقف عنده ، ولا يحدق النظر فيه ، واما أن يتخـــذ منه مادة للرياضة الذهنية ، يحاول أن يضرب صفوه بكدره ، وحقه بباطله لعله أن يمسك منه بشيء يقبله العقل وتستريح له النفس .. وهيهات هيهات ! واما أن يجرى هذا القول على ظاهره ، ويأخذه كما هـــو بدلالة ألفاظه اللغوية فينتهى به ذلك الى نتيجـــة لازمة ، والى حكم قاطع بأن محاصيل هذا الكلام هى الكفر الصراح ، والتجديف الوقاح ، والعبث بالدين ، واللغو في الشريعة ، والتلاعب بأحكامهـــا وذلك هو الوجه الغالب الذى يفهم عليـــه الأدب الصوفي ، ويحاسب به ! .

وانظر .. كيف يتوضأ المسلم بمـــاء الغيب ؟ وكيف يصلى الفجر في أول العصر ؟ وكيف ينضح البر بالبحر ؟ ولــكن رجال التصوف اذ يستمعون لهذا القول يطربون ، ويتواجدون ، وتغشاهم أحوال من الوجد والهيام ، كأنما هم في حفل عرس ، قد دارت فيه الراح ، فدارت معها الرؤوس في نشـوة غامرة ، وسكرة صاخبة معربدة !.

ولا نحسب أن الصوفية جميعا يستقيمون عـلى وجه واحد في فهم أدبهم ، وفي تأويل مقولاتهم .. اذ كل منهم يذهب مذهبا في الفهم ، ويأخذ طريقـا في التأويل .. ولكن هذه المذاهب المختلفة ، وتلك الطرق المتعددة تنتهى بهم جميعا الى ما تنتهى به كئوس الخمر بشاربيها ، ينتشى بها قوم ، ويسكر منها قوم ، ويعربد ويصخب أناس ، ويحجم ويسكن آخرون .. ولكنهم جميعا يسلمون أنفسهم الى عالم « اللاوعى » ويخضعون وجودهم لحكم « اللامعقول » الذى هو غاية لازمة أو غالبة لشارب الخمر ، وان يكن مادارت به الكأس – باسم الخمر – شرابا ليس من شأنه أن يسكر ، في غبوق أو صبوح ! ..

كذلك « الصوفية » مع أى كلام يدور عليهم باسم التصوف ، وفي مجالس أذكارهم ، وحضرات أورادهم – فكل كلام سواء كان واضحا أو غامضا ، جادا أو هازلا – يدفعون به دفعا الى عالم التصــوف ، ويحملونه من عالم « اللاوعى » أحمالا كثيرة من صور «اللامعقول» وخيالاته ! فيتواجدون منه ، ويسكرون كما يسكر المخمور من قدح ماء ، أو جرعة دواء ! ..

ومن هنا تكثر تأويلاتهم ، وتتناقض وتتضارب مقولاتهم حول الحقيقة الواحدة ، التى يسجلها أدبهم في قالب من الشعر أو النثر .. ومن هنا أيضا ساغ لغير المتصوفة أن يكون لهم في هذه الحقائق قول ، فكثرت لذلك الأقوال ، واتسعت شقة الخلاف في مفهوم الحقيقة الواحدة . ولا تخلى الصوفية أنفسهم من حمل النصيب الأوفر من هذا الخلط الذى دخل على الأدب الصوفي ! .

ولعلنا نذكر بيت ابن عربى ، الذى تحدثنا عنه في مقال سابق ، وفي هذا البيت يقول ابن عربى :

مقـــام النبـــوة في برزخ
دوين الولى وفوق الرســـول

وقد ذكرنا مع هذا البيت أبياتا من القصيدة التى قيل فيها ، وهى – بدهيا – من وزن البيت ورويه ، كما ذكرنا مفهوم هذا البيت عند صاحبه – من أقواله هو ، شرحا وتعقيبا عليه – كما أننا جعلنا لهذا البيت مفهوما يستقيم مع قواعد اللغة ومدلول كلماتها ، وهو مفهوم يلتقى مع فهم ابن عربى ، مع خلوه من التعسف في التخريج والتأويل ! .

ولكن هذا البيت يجىء في طبقات « الشعرانى » هكذا :

مقـــام النبـــوة في برزخ
فويق الرســـول ودون الولى

ثم يعلق عليه « الشعرانى » بهذا الشرح ، نقلا عن أبى الحسن الشاذلى – الصوفي المعروف – يقول : « وشرح هذا البيت : يعنى أن مقـــام النبوة يعطى الأخذ من الله بواسطة وحى الله ! ومقام الرســـالة يعطى بتبليغ ما أمر الله به للعباد ، ومقام الولاية الخاصة يعطى الأخذ من الله بالله من الوجه الخاص ! »

ولا شك أن هذا الشرح هو فهم خاص للشارح ، وهو كما ترى أشد تعقيدا وغموضا من البيت نفسه ولا عجب فهو « صوفي » يتكلم بلسان التصوف ! .

ونعود الى الأبيات الثلاثة السابقة لابن عربى .

وما فيها من ألغاز ومعميات ! وإذ كنا إزاء عجز ظاهر عن حل رموزها ، وفك طلاسمها ، فها هو ذا أبو الحسن الشاذلي — يتولى هذا الأمر ، فيقول : « المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية ! ٠٠ و « ماء الغيب » هو خلوص التوحيد ، فان لم يخلص لك بالعيـــان ، فتطهر بصعيد البرهان ! ٠

« وقدم اماما كان امامك في يوم الخطاب ، ثم صرت انت امامه بعد سدل الحجاب ! ٠

ثم يقول في شرح عجز البيت الثاني : « وصل صلاة الفجر التي هي صلاة نهار كشف الشهود ، بعد حجاب كلية الوجود — في أول العصر الذي هو أول زمان انفجار فجرك ، ولا تتأخر لآخر دورك ، لان الحكم للوقت والتأخير له مقت !٠٠ » ٠

وفي شرح البيت الثالث يقول : « فهذه صـــلاة العارفين بربهم ، وهم الذين لم يخرجوا من متابعة الاحكام الشرعية في جميع مشاهدة الربوبية ، فان كنت منهم فانضح ، يعني اغسل بماء بحر الحقيقة ماتدنس من بر الشريعة ! » ٠

وهذا الشرح كما ترى لم يقترب بنا كثيرا نحو الأبيات ، ان لم يكن قد سد الطريق علينا الى فهم خاص لها ، ربما نتلقاه عن ظنون وأوهام ! ٠٠ أو نأخذه عن حدس وتهويم ! ٠٠

وطبيعي أن يكون شرح الصـــوفي للمقولات الصوفية — من مقولاته هو أو من مقولات غيره — على غير الشرح المعهود في الأدب العام ، لأن الصوفي هنا انما يخاطب أبناء الطريق من الشيوخ والمريدين وهو لهذا يتحدث اليهم هذا الحديث المغلق المشحون بقدر كاف من الرموز والألغاز ، ليسبحوا فيها مع خيال المتصوفة ، ولينطلقوا بها أو تنطلق بهم الى ماشاء الله من عوالم وموارد ! ٠

وهنا أمر يجب أن ننبه اليه ، وهـــو أن مقولات المتصوفة انما صدرت في أحوال غلب الوجد فيهـــا عليهم ، فكان معظمها صادرا عن « لاوعي » كما كان الوصف الغالب عليها انها خارجة عن المعقول ٠٠ كما انه — من جهة أخرى — لم يكن من هم المتصوف حين ينطق بما ينطق به أن يكون ذلك جاريا مـــع منطق الناس ، واقعا في مفهومهم ٠٠ فهو لا يضـــع في حسابه أنه يتحدث الى أحد ، وانما هو « قيثارة » استولى عليها قلبه ، ليوقع عليها ما يشاء من مواجد وأشواق ، ولواعج ، وشكوى ، وأنين ، فيجرى على لسانه كل مايطرق قلبه من خواطر وخطرات ٠٠ ولا عليه أن يفهم الناس عنه شيئا أو لا يفهمون ٠٠

انه يفكر بصوت عال — كما يقـــولون — فلا يكتم لسانه شيئا مما يجري في خاطره ! ٠

لهذا كان من الخطأ أفدح الخطأ أن نحاسب الصوفي على قول لم يقله لنا ، ولم يتجه به الينا ٠٠ فان كان ولا بد من محاســـبته فلنكن على ما يقضي به ذوق المتصوفة ، وتتسع له طريقتهم ! ٠٠

وفي هذا يقول « ابن عربي » : « نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن في مقامنا ! » ويعلق « الشاذلي » على هذا بقوله : « فخوض غير العـــارفين له ، مثل ذلك ضرر عليهم في دينهم وعقائدهم ، فلا يليق ذلك الا بالعارف المتمكن ٠٠ لأن القوم كانوا محبين ٠٠ كل منهم يتكلم بلسان محبته وذوقه ، فهو كلام لا يحصر ، ولا يحصى ٠٠ لأن هذا البحر غرق فيه كثير ، ولا وصل أحد الى قراره أو ساحله !

ويقول ابن عربي أيضا : « أصل منازعة الناس في المعارف الالهية ، والاشارات الربانية كونهـــا خارجة عن طور العقول ، ومجيئها بعيدا من غير عقل ونظر ، ومن غير طريق العقل ، فتنكرت على الناس من حيث طريقها ، فأنكروها وجهلوها ، ومن أنكر طريقا من الطرق عادى أهله ضرورة ، لاعتقـــاده فسادها ، وفساد عقائد أهلها ! » ٠

ولكن لنا أن نسأل : أيفهم الصوفي عن الصوفي ما تحمل عباراته من خطراته وتصوراته ؟ والجواب على هذا هو أن ذلك ممكن على سبيل التجوز المطلق ٠٠ فالصوفي حين يسمع كلمة صوفية ينفعل لهـــا كيانه كله ، فيلقاها بوجدانه وذوقه ، ومعـــارف طريقه ، ثم لا يزال بها حتى تستجيب للحمل الذي يحملها عليه ، من اصطلاحات المتصوفة ، وتصوراتها ٠٠ ولكن كل هذا لايعدو أن يـــكون مجرد تأويل شخصي للعبارة الصوفية أشبه بتأويل الأحلام ٠٠ كل يذهب في التأويل كيف يرى ، وكيف يقدر ٠

يقول ابن القـــارض في بعض شطحاته ، أو سبحاته :

فقلت لزهدي والتنســـك والتقى
تخلوا ، وما بيني وبين الهـــوى خلوا
تمسك بأذيال الهوى ، واخلع الحيا
وخل سبيل الناســـكين وما حلوا

والمعاني التي يحملها هذان البيتـــان واضحة لا تحتاج الى بيان ، ففيهما دعوة صريحة الى اطراح أثواب الزهد والنسك والتقوى ، ثم الانطلاق في مراتع الخلاعة والمجون ! ٠٠ هذا صريح ما تنطق به كلمات البيتين ٠٠

عبد الكريم الخطيب

نقد اليوم

بقلم: مصطفى عبد اللطيف السحرتي

ما أعجب ما نقرأه · فى هذه الأيام ، من نقدات نتاجنا الأبى ، واتجاهاتنا الادبية المعاصرة ، فاغلبها نقدات غير جادة ، لم ينفق النقاد فيها جهدا ملموسا ولم يهبوا قلوبهم وأذهانهم لها · ولم يعايشــوا أعمال خالقيها ، ولكنهم مروا عليها مرور القرافير دون تعمق ، وامتصاص للبابها ·

ولهذا كانت أكثر هذه النقدات فطيرة نيئــة ، لاتعطى صورة صادقة للعمل المنقود ، ولا حقيقية ، بل ان طائفة منها تشوهه ، وتعمل على ايذاء مبدعه كما تعمل الزنابير بخلايا النحل ·

وما كان هذا السلوك المتعجل فى النقد ، ولا كان هذا النزوع المؤذى للاعمال الادبية ، من خليقــات النقد ولا وظيفته النبيلة ، فالنقد أمانة ، وايمان عميق بحب الحقيقة ، والنقد زمالة وصداقة ووداعة يكشف عن جهــود المنقــود وحسناته ، وقدراته ، ويوجهه فى ادب ولطف الى هفواته أو هناته ، وهو فى الوقت ذاته يكشف عن ثقافة النــاقد ، وعمق تفكيره ، وتوازنه النفسى ·

فاذا تجافى النــاقد عن هذه الخلقية ، ولم يعبأ برسالة النقد الشريفة ، فلن يحترم انسان سوى نقده ، ولن تجد نقداته من القارىء المثقف أى تقدير وقد تعود عليــه فى بعض الاحيــان بالزراية والامتهان ·

لقد قرات كثيرا من النقدات عن كتب جادة ، ودواوين شعرية جيدة لطائفة من نقادنا ، فاذا بها نقدات متعجلة طائشة ، او نقدات متعاليةمتعــالمة او نقــدات مشوهة مؤذية ، وأخرى خبيثة هادمة ، وكلها تخلت عن خلقية النقد ووظيفته ، ورسالته الحضارية المنصفة ، فتولانى اسى بعيــد الغور ، واشد ما كان اساى من نقدات بعض الكتاب الذين نالوا بسطة فى التعليم ، ونالوا القابا علمية رنانة ، ففى نقدات بعض هؤلاء وجدت تعاليا على المنقود ، وحسما بالرأى ، وفى نقــدات أخرى وجدت آراء مقبوسة من هنا وهناك ومصلحات غريبة، وغموضا وابهاما ، لم أتبين فيها فكر كاتبها ، ولا شخصيته الادبية ، وفى نقدات غيرها ، وجدت النقدات كومة من سيئات المنقود ، وهفواته ، مجتمعة دون ذكر اية حسنة من الحســنات ! وهــكذا خيل لهؤلاء المدرسيين النقد تعاليا ، أو ابهاما ، أو تعييبا للاعمال الأدبية ، والنقد الحقيقى البناء ينفر كل النفور من امثال هذه النقدات .

بل يبرأ منها براءة مطلقة .

فلقد قرات لأحد الجامعيين نقدا لكتاب اديب اعرفه عن النقد « النقــد الأدبى » كان كل همه وقصاراه أن يبحث عما يراه سيئا فيه ، ويحاول ان يمسك بيده ذرات الغبار ، دون ان يذكر له حسنة او ينصف ناحية من نواحيه ، وكانما الكتاب مذنب بين يديه يتلمس له التهم ، أو يلفقها اذا عز عليه الدليل !

وقرات مؤخرا ، نقدا لنــاقد شاب عن ديوان شاعر من شعرائنا الغنــائيين المبدعين ، قرايته ينحو هــذا النحو ، لم يجد فى الديوان تجربة شعرية ، ولا موسيقى باطنية هامســة ، ولكنما سمع فى الديوان ، دقات الصــاجات ، ووقفت مبهوتا أسائل نفسى ، احقا لا يوجد بالديوان تجربة شعرية ، أو قصيدة جيدة ؟ وانا اعرف أن الناقد البناء ، اذا اراد أن يفتح قلبه وذهنه لقصــائد الديوان ، وجد ، واذا لم يجد ناقدنا الشاب مايريد فلم هذا العنف فى العبارة ؟ ولم هذا الايذاء ؟ ولماذا يسعى الناقد لتسميم علاقاته بالمنقودين ؟

واذا كانت الحقيقة التى يراها عزيزة عليه ، فلم لا يعرضها فى ثوب محبب ؟ وغامت آراء النــاقد فى مخيلتى ، واختفت من ذهنى ، وتحولت اسائل نفسى عن دوافع الناقد وحوافزه لهذا النقد القاسى. واعرف ان الكثيرين من الأدباء تســاءلوا مثلى ، لماذا ؟ لماذا ؟ . لماذا هذا الايذاء لشاعر كبير ؟ وماذا يفيد النيل من حرمة شعره . ؟

ولست احجر على حرية الناقد فى ان يســجل آراءه فى كبير أو صغير ، ولكن أعيذه من انحراف اسلوبه وعنفه ، اعيذه من ساديته ومن تعاليه على المنقود ، وحسبانه ان آراءه آراء نهائية .

فللناقد كل الحرية فى ان يبدى آراءه التى يؤمن بها فى شجاعة وصراحة ، له ان ينقد ادباء الجيل الماضى دون رهب من الوهج الذى يطوف بهم ، ولكن عليه ان ينقدهم فى ادب ولطف وتواضع ، كى

لا يتجمدوا ، ويعتقدوا انهم بلغوا الكمال . كما له أن ينقد الجيل الحاضر ، ويقوم اعمالهم ، ويربطهم بالتجـــارب والقيم الجديدة ، فى رصانة ورزانة واعتدال .

أقول لهذا لما لمست من وقوع التصـــادم بين الجيلين ، لا بل من نشوب المعارك بينهما ، فأدباء الجيل الماضى اذا ابدوا آراءهم فى اعمال ادباء الجيل المعاصر ، يطلقون آراءهم فيهم فى تأله وحسم ، بل فى زراية واســـتخفاف فى كثير من الأحيان ، متخلين عما ينبغى عليهم من التحلى بالوقار والكياسة والسماحة . مما يضطر الجيـــل المعـــاصر الى مقـــابلتهم بالمثـــل ، وغمط آثارهم ، بل بانكارها انكارا ، وما دفعهم الى حـــدتهم الا الدفاع عن حقوقهم المهضومة ، فى شدة وعنف .

واقرب مثال على ما نقول ، المعركة القائمة حول الشـــعر الحر ، فقائل انه نثر ، وقائل انه كلام فارغ ، وقائل ان اصحابه لهم لون بعينه ، وانه يقطع الخيط الذهبى الذى يصلنا بتـــراثنا العـــريق ، ولا يكتفون بذلك ، بل انهم يشنون على هذا الشعر حربا شعواء فى المهرجانات الرسمية ، حملات لدودة تثير الحنق والغيظ ، فأديب كبير يحمل الهراوة لشعراء هذا الشعر ، وشاعر مرموق ، يتحدث فى قصيدته عن بلقيس ، ولا يقف عند موضوعه ، بل يوزع تجربته . ووحدة قصيدته ، مفردا ابيـــاتا للحملة على هذا الشعر ، غير حافل بفنية القصيدة ، ولا بالســـماحة الواجبة فى المهرجان الذى يضم طائفة من أحرار الشعراء ، ولكنه يبغى أن يشـــعل العداوة ويؤجج النيران ، ولو أحرق قصـــيدته !

ولســـت ادافع عن هذا الشعر ، فالجديد النامى يدافع عن نفسه ، ويشق فى وثوق طريقه ، ولكنى ادافع عن حرية الفنـــان وعن طريقته فى التعبير ، والوقوف فى وجه من يحاول الحجر على هـــذه الحرية التى اعدها مقلة من مقل العيون .

وادافع فى الوقت ذاته عن حرية النـــاقد الذى لا يروقه هذا الشعر ، على الا يلقى برايه ، دون قراءة مستوعبة لهذا التيار الجديد ويقرأ للمجيدين فيه ، فى جميع البلاد العربية ، من امثال نزار قبانى ، وخليل الخورى بسوريا ، وخليل الحاوى بلبنان ، ونازك الملائكة ، وهلال ناجى وعدنان الراوى بالعراق ، وفدوى طوقان بفلســـطين ، ومحيى الدين فارس والفيتورى ، ومحمد عثمان صالح بالسودان ، وحمزة شحاتة ، وناصر ابو حميد بالحجاز ، وناجى علوشى بالكويت ، ومحمد الرقتعى بليبيا ، وغازى القصيبى بالبحرين ، وكمال نشأت ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وحجازى وعبد الصبور فى مصر وغيرهم من الشعراء ، الذين قرأنا لهم ووجدنا فى كثير من قصائدهم الايقاع والنغم الشعرى المحبب ، والدفقات الشـــعورية السيالة ، وأثبتنا ذلك فى كتابينا « شعر اليوم والنقد الادبى » .

وســـوف يرى المحاربين لهذا الشعر ، ان الخيط الذهبى الذى يصـــلنا بالماضى لم ينقطع ، وان الشـــعراء الذين ذكرناهم لا لون لهم الا اللون القومى ، فاذا لم يزك لهؤلاء المحابين هذا الشـــعر بعد ذلك . فلهم رأيهم فى عدم قبوله ، اما الرفض البات دون قراءة ، فهذا مما يؤخـــذ عليـــهم ، ولا يستساغ باى حال .

ونحن لا يهمنا الاتفاق ، او الاختلاف على شعر بعينه ، ولكن يهمنا بالدرجة الأولى ، الابتعاد عن اللدد فى الخصومة ، واشعال نيران الموجدة ، بلا مبرر ، ونرى أنه جدير بالنقاد البصراء أن يطفئوا هذه النيران . وان يعملوا على حض الشعراء أن ينجبوا ويكشفوا عن انفسهم فى أصـــالة ليبدعوا شعرا ، حقيقيا ، يعبر عن حساسية العصر وقيمه الجديدة .

والى هاتين الظاهرتين السيئتين فى نقد اليوم ، ظاهرية السادية النقـــدية . والغض من الانتـــاج الأدبى ، وظاهرة الخصومة اللدودة بين النقاد فى القضايا الأدبية ، ومن بينها الشعر الجديد ، فهناك ظاهرة اكثر سوءا هى ظاهرة تكتل بعض النقاد فى الصـــحف والمجلات ، لمجـــاهدة فريق من الأدباء لا يمتون اليهم بصلات شخصية أو أيدلوجيـــة ، والثناء على فريق آخر ممن يوالونهم ، ولو أخرجوا اعمالا ادبية لا طعم لها ولا قيمة ، وهـــذه الظاهرة الاليمة ، تدعو ، فى الحق الى النفور والامتعـــاض ، وقد شـــعر بالمرارة من ذيوعها طائفة من الكتاب الشرفاء ، ومن بينهم نذكر الدكتور طبانه فى كتابه

نزعة الايلام فى أدب يحيى حقى

بقلم : سمير أحمد ندا

على الرغم من الحفاوة التى استقبل بها النقاد كتاب « فكرة فابتسامة » آخر مؤلفات الأديب الكبير يحى حقى فقد خرج واحد منهم على اجماعهم ، واعتبره سقطة لا تغتفر للمؤلف · وضرب لحكمه هذا أمثلة تدل عليه ، منها صورة للسيجارة رسمها الأستاذ يحى على هذا النحو :

« هذه المخلوقة الضئيلة الحقيرة · التى لولا ضعف الانسان وحماقته لما قامت لها سوق رائجة تتعزز فيها ، وتتبغدد علينا · هذه الدودة الغليظة المفرومة المصارين ، المحشوة خبثا ، تتلفع بطرحة بيضاء وفى قلبها اقتل السموم ···· »

ويعلق الناقد المذكور على ذلك بقوله : « فلم كل هذا العناء مجافاة الذوق وايذاء ··· القارئين ؟! » · والحق أن هذه النزعة الى الايذاء والتى عدها سقطة فى تاريخ يحيى حقى الأدبى · هى الطابع الذى يتميز به انتاجه · من يوم أن كتب « قنديل ام هاشم » وحتى آخر مجموعة قصصية أصدرها تحت عنوان « عنتر وجولييت » ·

فى القصة الاولى ـ قنديل ام هاشم ـ نلتقى ببطلها الدكتور اسماعيل عقيب عودته من الخارج · استبدت به الثورة على بلده واهله وأخذ العنف منه كل مأخذ · فنراه يقول :

« هؤلاء المصريون جنس سمج ثرثار ، اقرع امرد ، عار حاف بوله دم · ابرازه ديدان يتلقى الصفعة على قفاه الطويل بابتسامة ذليلة تطفح على الوجه ··· ··· ··· ومصر قطعة مبرطشة من الطين أسنت فى الصحراء تطن عليها أسراب من الذباب والبعوض ويغوص فيها الى قوائمه قطيع من الجاموس نحيل ·· » ··

أليست هذه السطور أشد ايلاما ، من النماذج التى استحضرها ذلك الناقد ! ! بل ان هناك بين تضاعيف مجموعاته القصصية ما هو أبعث على الايلام من تلك السطور ايضا · مثال ذلك قصة (عقرب أفندى) من مجموعة (أم العواجز) وهى تتناول مدرسا كان يقسو على تلامذته · وبعد حقبة من الزمن آلمته أسنانه ، فالتمس علاجها ، لدى طبيب كان لسوء الحظ أحد تلامذته ، ولنتركه يروى لنا طرفا من هذا اللقاء :

« ····· لم أتمالك نفسى من تذكر أيامه السود ، وما قاسيته على يديه من الأهوال ، وتعذيبه ايانا بلا ذنب جنيناه وقلت ان قدومه الى برجليه لدليل على أن هذه الدنيا ـ مهما قيل فيها ـ لا تخلو أحيانا من العدالة · وليصبر المتهم المظلوم فان الزمن سيدير دورته فاذا به يحاكم من حكم عليه من قبل · وحمدا لله ! اذ قسمت لى مهنة طب الاسنان ··· ولكننى ترددت قليلا أانتقم أم أصفح ؟ ! وأخيرا قلت ان الصفح يتاح فى كل وقت أما الانتقام فلا يتاح الا مرة واحدة ، وهذه مرتك فلا تدعها تفلت من يديك ··· »

****

القيم « الاتجاهات المعاصرة فى النقد الأدبى » فدعا الى مجاهدتها والى العمل على تنقية الجو النقدى من شوائبها .

وما احب الينا من مشاركته فى دعوته النبيلة لمجاهدة هذه التحزبات البغيضة ، ومجاهدة السادية النقدية ، والحملات الظالمة القاسية الموجهة الى دعاة التجديد لمسايرة الروح التعاونى الاشتراكى الجديدة ، التى نمت فى المجال السياسى والاقتصادى ، ومن الواجب ازدهارها فى المجال الأدبى والنقدى .

مصطفى عبد الطيف السحرتى

ويبدأ الطبيب انتقامه فيدعي لأستاذه السابق - كذبا - ضرورة خلع أسنانه ويوافق هذا تحت وطأة الألم . ويتلقف ذلك الطبيب هذه الموافقة ويباشر عمله .. فلا يضع له المخدر اللازم ويظل يتلقل ضروسه في اللحم الحي فترة طويلة قبل انتزاعها وهكذا انتقم .

بل وتبلغ نزعة الايلام عند أديبنا الكبير الى حد دموى رهيب في قصة (سوسو) من مجموعة (عنتر وجولييت) وهي تدور حول طفل (سوسو) يصفه راوى القصة بقوله : « وهكذا حل في دنيانا مسخ غريب قطعة من اللحم تنمو وتكبر وتتلوى ولا شيء غير ذلك » وتلح عليه فكرة قتله ، وفي مناسبة عيد ميلاده ، يسقط من بين يديه - سهوا - الى الشارع ممزقا ، وتضيع المسئولية بين الراوى وصديقه والد القتيل . ربما تساءلنا أليست هذه قسوة ؟ ! فيجيبنا نيتشه في كتابه « الحكمة الرائعة » وبصدد موضوع مماثل « الا يكون الأمر أشد قسوة أن تسمحوا للطفل بأن يحيا ؟ !...»

ويشارك يحي حقى الى جانب نيتشه أكثر من أديب ، في هذه النزعة الايلامية منهم مثلا دستويفسكى وجان بول سارتر . يصور أولهما الثوانى الأخيرة من حياة محكوم عليه بالاعدام على لسان الامير موتشكين في رواية الأبله لجترىء منها بهذه السطور كقوله :

« ... هناك مسألة لا يمكن أن تنساها هي أنك لا تستطيع الاغماء . وحول هذه المسألة يدور كل شيء . ولنتصور أن هذه الحال تستمر حتى آخر ربع ثانية . وعندها يمر الراس من الطوق وتنتظر وتعلم ، ثم فجأة تسمع السكين تنزلق فوقه . لاشك أنها تسمع ولو أنني كنت شخصيا ممدودا على الخشبة لأرهفت اذني ولسمعت الصوت وهو ربما لا يصدر الا لجزء من البرهة . ولكننا لا يمكن الا أن تسمعه ولنتصور اننا لا نزال الى اليوم نود أن نعرف هل الراس لا يدرك في الثانية الأولى بعد قطعه أنه قد فصل عن الجسد ؟!»

وعلى الرغم من بشاعة هذا التصوير فقد اعتبرت هذه السطور من أصدق ما كتب في المطالبة بالغاء عقوبة الاعدام .

ولجان بول سارتر نماذج كثيرة في هذه النزعة نذكر منها مسرحية ... موتى بلا قبور التى تدور حوادثها أثناء فترة الاحتلال النازى لفرنسا وتروى طرفا من المقاومة السرية . ولنتأمل هذه المحاورة التى دارت بين جان وحبيبته لوسى بعد أن عذبها الألمان وانتهكوا عرضها .

« جان - انني ألمح الجفاف في عينيك . وأدرك أن قلبك يحترق ولكن لا يبدو عليك أثر للألم أو قطرة من الدموع . لقد استحال كل شيء فيك من فرط التوهج الى بياض . ينبغى أن تتألمى لكونك لا تحسين بالألم !!!

لوسى - قطرة من دموع ؟ ! انني لا أتمنى غير شيء واحد أن يأخذوني مرة أخرى ويضربوني حتى ألوذ بالصمت وأسخر منهم والقى في قلوبهم الرعب » .

ان استمراء لوسى للألم على هذا النحو يذكرني باحدى قصائد وليم بليك التى يقول فيها : « كنت أتنقل بين نيران الجحيم مغتبطا » ولعل تجسيد سارتر للألم على هذا النحو ، هو الذى دفع جابريل مارسيل الى اتهامه بالسادية .

وهنا يبرز سؤال هام عما اذا كانت نزعة الايلام عند يحيى حقى ودستويفسكى ترجع الى نفس السبب الذى زعمه مارسيل ؟ ! المعروف أن السادية حصول على اللذة الجنسية عن طريق ايلام كائن بشرى أو حيوانى . فاذا اتفقت نزعة الايلام تلك مع السادية مظهرا فانها ولا شك تختلف عنها جوهرا : وما ذلك الا لأن تلك النزعة لا تقصد الايلام للذة الجنسية وانما سعيا وراء غايات أسمى

وانبل هي عند دستويفسكي تحطيم أسباب النفاق الاجتماعي وهي عند سارتر تاكيد معنى الحرية كجوهر للوجود الانساني . وأخيرا هي عند يحيى حقي كما يقول كاتب فاضل « أن يصلح الناس احوالهم وأن يطهروا نفوسهم » وتفسير ذلك نجده في طبيعة اللامنتهى الذي يقول فيه (كولن ولسن) :

« ان رؤيته للعام ، رؤيا العذاب والمرارة والشقاء ولاشك أن هذه الرؤية المتشائمة تقود الى العنف والقسوة ... فاللامنتهى يكافح من أجل تركيز الادراك بواسطة الألم لأنه يمثل لديه الاقتراب من الواقع والترياق ضد الحماقة الانسانية .... » .

وعلى ضوء هذا التفسير تنزاح غواشي مظهر العنف ويبرز الجوهر نقيا نبيلا صادقا وكذلك نستطيع ان نفهم على مدى انتشار ذلك الضوء التفسيري قول الاستاذ يحى حقي في شأن الفاظه المنفرة العنيفة التي يبثها في ثنايا قصصه : « انه لا يقصد منها الا أن يشعر الناس بقيمة الجمال » .

ورجل هذا منهجه لا يقال عنه أبدا انه مجاف للذوق الرفيع .

سمير ندا

موسيقى من أرض المعراج

تكبيرة الزحف

للشاعر محمود حسن اسماعيل

سيظل ينهش في عروقي ثارها ... حتى تكبر للصباح ديارها
حتى يعود النيل فوق ترابها ... اشلاء ليل ، شب فيه نهارها
حتى تذوب مع الظلام خيامها ... وتعود تكتسح الدجى اسوارها
حتى يداهمها الضحى بيمينه ... ويفك من لهب القيود اسارها
حتى يراق دمى على جنباتها ... وبه من التاريخ يغسل عارها
حتى يهلل فرحة شهداؤها ... للنور يخه ل فجره احرارها
حتى يبيد الغاصبون بأرضها ... وتبيد فوق رفاتهم أوزارها
حتى تزمجر بالفيالق حومة ... عربية لا يستريح اوارها
حتى تعود الى الديار ، غريبة ... لكتائب الابطال تظما نارها
ويكبر الجبل الجليل لموكب ... تهفو اليه سهولها وقفارها
ويد العروبة فى السماء كأنها ... بشرى من الرحمن عاد مزارها
فيها مع الاقدار موعد أمة ... غضبت وحقق ثارها ثوارها
فيها جزاء الغاصبين ، وانه ... لنهاية للظلم حان قرارها
فيها فلسطين الجريحة أجهشت ... بقضية فى البغى طال حوارها
فيها ليوم الزحف غضبة مارد ... أبلى أساطير الطغاة شرارها

***

قل يا جمال ، ونحن شلال اللظى ! ... نحن المنايا جددت أعمارها !
الوحدة الكبرى طريق نضالنا ... للنصر .. مهما كابدت أسفارها !
سنسير نقتحم العواصف والدجى ... مهما تكاثف حولنا أستارها
سنسير نخترق السدود ، ونبرى ... حتى كهوف الكيد نحن دمارها
وغدا لاسرائيل غضبة زاحف ... بالهول يفهق بالجحيم سعارها
غضبت تراب الانبياء برجسها ... وهى التى أغرى بهم أشرارها

***

أرض النبوات التى لولا الضحى ... من كفها ، طمس العقول غبارها
كانت مصابيح الوجود . لظلمة ... فى الغرب يصخب كالخضم مدارها
كانت نهارا عالما .. من حوله ... ليلات جهل ما يزاح ستارها
نفث الحياة ، ونورت أرجاءها ... وعلى الضياء تفتحت أبصارها
دار الزمان بغدره وببطشه ... وطغى الدجى وتألب استعمارها !
وأتى الصباح .. وتلك آية فجره ... للعرب يسطع كالنهار نهارها
بقيامة قومية عربية ... بالوحدة الشماء شع منارها
يحدو مقالدها وتحدو خطوه ... عين السما ، وتصونه أقدارها !

محمود حسن اسماعيل

بعد مؤتمر القمة

للشاعر محمود عماد

اوعى صيارفة الكلام   ما قد عناه العم سام ؟
العالم المتمدين الدا   عى الى سبل السلام
لما راى العرب اهتدوا   بعد الخصام الى الوئام
وتعاهدوا أن يدفعوا   عن مائهم دفع الكرام
قال اغتصاب الماء حل   والدفاع هو الحرام
ولقد رآهم يغصبو   ن الارض قبلا والحطام
ويشردون الاهل عنها   وهو يمعن فى ابتسام
ويمدهم بالرأى والما   ل المكدس والحسام
من يذبح الاحياء يا   بى أن يبيل لهم أوام
انما ابى يوما علينا   الرى من سد يقام ؟
سطحى يفوتها عليه   بمصر كافلها الهمام !
وأحال أمواج القنا   ة حجارة صلدا تقام !
فاذا لنا سدان لا   سد وملك لا يرام !

***

هى شرة فى العم سام   تزداد عاما بعد عام
ماذا جنى الزنجى حتى   فى مواطنه يضام ؟
ماذا جنى الشرق البعيد   فبات عنه لا ينام
اعز الوصى على شعو   ب الشرق من دون الأنام ؟
قد كان يتبع رأى (منرو)   فى اعتكاف واعتصام
ايام كان المال يعو   زه ويقعده السقام
اما وقد أثرى وصح   فلى تخوم الارض حام
وعلى كنوز الشرق مثل   سحابه فى الغرب حام

جئتم بالعصى ثم قلتم   فى مخادعكم تنام
وعليكمو أن تمنحو   ها الماء وفرا والطعام
ومتى تعضكمو فلا   تستغضبوها بالملام
بل طامنوا أجسادكم   لتعمها منها السمام
كرم على الرقطاء منكم   ايها الكرماء دام
لكن علينا لا عليكم   لرمته فهو اجترام
من يكرم الاضياف فليكر   مهمو أنى اقام
فاسترجعوا الرقطاء او   ستترى غدا بين الرمام

اليوم داوينا الجرو   ح فكلهن الى التئام

محمود عمار

رمضان فى الأدب

بقلم : محمد ابراهيم الجيوشي

رمضان فى حياة المسلمين ظاهرة فريدة لها أثرها النفسى والروحى ، وسلطانه على السلوك والاخلاق واضح ملموس .

وأثر رمضان ينتظم كل أفراد المجتمع الاسلامى ، فالناسك يستقبله بالاقبال على نسكه ، والنشاط فى عبادته والاكثار من صلاته وسجوده وقراءته ، والمقصر يجد فيه فرصة يعوض فيها ما فات ، ويصلح ما أفسد ، ويقوم ما اعوج من سلوكه ، ويجدد ما بلى من تقواه ، ويحفظ من لسانه ما انطلق ، ويستقى فيه من جوارحه ما نبا ، ويشف من أحساسه ما غلظ ، ويصفو من روحه ما علق به من شوائب الاثم والخطايا .

واذا كان الكبار يملئون المساجد بالصلوات ، ويرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير ، يعمرونها ويجددون لها البسط ويزيدون فى الاضاءة ، فان الصغار يزحمون الشوارع بالفوانيس غادية ورائحة ، وينتظرون الأذان انتظار الملهوف ويرفعون أصواتهم بالبشرى عندما تتلقف آذانهم صوت المؤذن يعلن انتهاء الصوم ، وبدء الافطار .

وربات البيوت يستقبلن رمضان استقبالا حافلا ، ويهيئن له من ألوان الاطعمة والحلوى ما ينطق بحذقهن ومهارتهن فى تدبير المنزل والقيام على شئونه .

ورمضان بايحاءته الروحية ومظاهره المختلفة له فى نفوس الشعراء أثر فى وجدانهم ومشاعرهم ظل محبب أو كريه ، وعلى قدر ما تحمل نفس الشاعر من عاطفة نحو رمضان يعطينا صورة من فنه تعبر عن عاطفته تعبيرا صادقا سواء رضينا عن مسالك هذه العاطفة أو كرهنا .

ومن هنا كان للشعر موقف فى استقبال رمضان وآخر فى وداعه وموقف يصور رسومه ومظاهره ، ويتفن فى وصف موائده وحلواه ، وكل ذلك تجد فيه المستقبل الفرح الباش ، والبرم المستكره الملول .

ولابن الرومى أبيات يذكر فيها قدوم رمضان ، ويراه شهرا مباركا ما لم يأت فى الصيف ، وهو يقبل على صومه خشية العذاب الذى يحل بمن يقدم على الافطار فيه ، فكان صومه هذا موقعا له فى العذاب الذى فر منه وخشى من آلامه . .

شهر الصيام مبارك
ما لم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت فى نفس العذاب

ويأتى بعده من يرى نهار رمضان فى طوله يوم الحساب ، ويرى ليله بسماره وندواته ليل تواصل وعتاب بين أحباب فيقول :

واليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب
والليل فيه كأنه
ليل التواصل والعتاب

أما الصاحب بن عباده فقد وقف يرد عن الصوم اتهامات المتطلقين الذين يرون فيه قيدا يحول بينهم وبين شهواتهم ، ويكشف عما فيه من تصفية للنفس ونقاء للضمير فى النهار يجعل الصائم بعيدا عن الريبة وينظم عقد الصائمين فى الليل فى رحاب بيوت الله حين يقول :

قد تعدوا على الصيام وقالوا
حرم الصب فيه حسن العوائد
كذبوا فى الصيام للمرء مهما
كان مستيقظا أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب
واجتماع بالليل عند المساجد

وفى أيام الدولة الفاطمية كان لخلفائها اهتمام بالمواسم والأعياد الاسلامية ، وكانوا يجلسون للتهنئة ويتلقون مدائح كلما جاء رمضان أو ودع ، وكان طبعيا ان يمزج الشعراء مدائحهم بالاشادة بشهر الصيام والدعاء للخليفة بالاقامة على صيامه واعلاء شعائره ، وهذا الامير تميم بن المعز يمدح الخليفة العزيز بالله ، ويهنئه باقبال شهر رمضان فيقول :

ليهنك أن الصوم فرض مؤكد
من الله مفروض على كل مسلم
وانك مفروض المحبة مثله
علينا بحق قلت لا بالتوهم
فهنئته يامن به الله قابل
من الخلق فيه كل نسك مقدم
ولا زلت منصورا على فرض صومه
ومتعصما بالله من كل محرم

وكثير من الشعراء قد ودعوه بفرحة أشبه بالشماته وان تواروا خلف الفرحة باستقبال العيد وتحية هلاله ، ويمثل هذا الاتجاه قول الجزار الشاعر :

أن هــلال الفطر لما بدا
مستحسنا فى أعين الناس

وددت أن الثمه عندما
راح يحاكى شفة الكاس

بل ذهب الطغرائى ليرى الى أبعد من ذلك فتخيل هلال الفطر منجلا يحصد شهر الصيام ، ولهذا دعا أصحابه الى الاقبال على اللذات واحياء مجالس الانس على نغمات العيدان ورنين أكواب المدام حين ينادى أصحابه بقوله :

قوموا الى لذاتكم يا نيام
ونهبوا العود وصفوا المدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا
بمنجل يحصد شهر الصيام

وقد تنقل هذا المعنى على ألسنة الشعراء حتى تلقاه شوقى فى العصر الحديث فأضفى عليه من موسيقاه العذبة وجرسه المشجى وبيانه الخلاب فى أبياته المشهورة :

رمضان ولى هاتها يا ساقى
مشتاقة تسعى الى مشتاق
ما كان أكثره على الافهـا
وأقله فى طاعة الخلاق
الله غفار الذنوب جميعها
ان كان ثم من الذنوب بواقى

وقد ارتبط مجىء رمضان فى أذهان طائفة من الشعراء ـ خاصة فى العصرين المملوكى والعثمانى فى مصر ـ بالوان الحلوى التى تكثر فيه عند الناس كالكنافة والقطايف ، فاخذوا يتسابقون فى وصفها ويتفننون فى بيان محاسنها ، ويصورون شوقهم اليها حتى يستحب أن شهر الصوم ما هو الا شهر الحلوى والأطعمة الفاخرة ، وأصبح استقبال رمضان مقرونا بما يقبل عليه الناس فيه من الأطعمة والحلوى فهذا ابن هبة الله المصرى يقول :

وافى الصيام فوافتنا قطائفه
كما تسنمت الكثبان من كثب

أهلا بشهر غدا فيه لنا خلف
اكل القطائف عن شرب ابنة العنب
من كل ملفوفة بيض الى أخد
حمر من القلى تشفى جنة السغب

وقد أكثر شعراء العصرين المملوكى والتركى من الحديث عن حلوى رمضان وأداروا حولها كثيرا من قصائدهم وحسبنا أن نشير الى قصيدة لابن نباتة المصرى قالها لما أهدى اليه نوع من الكنافة يسمى (كنافة محتقة) قال :

يا سيدى جاءتك فى صدرها
كأنهار روحى فى صدرى
كنافة بالحلو موعودة
كما تقول العسل المصرى
قد خنقتنى عبرتى كاسمها
وبادرت من خلفها تجرى
ما خرج الفستق من قشره
فيها وقد أخرجت من قشرى
ونشرها من طيها لم يفح
فاعجب لسوء الطى والنشر
فهاك حلوا قد تكفلته
ولا تسل عنى وعن صبرى
كأنها الدمية لكنها
لا نفحة العرف ولا القطر
لا زلت فى الدهر كما تبتغى
وفوق ما تبغى من الدهر

وكما حظيت حلوى رمضان بنصيب وافر من اهتمام الشعراء فى العصرين المملوكى والتركى كذلك حظى فانوس السحور باهتمامهم وجذب انتباههم حتى ليروى على بن ظافر أنهم اجتمعوا ليلة فى جامع عمرو بعد صلاة العشاء وقد أوقد فانوس السحور فاقترح بعضهم على ابى الحجاج يوسف بن على أن يصنع فيه شعرا فقال على البديهة :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه
ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم ار نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

قال ابن ظافر : فعبت عليه البيت الثانى لعدم دقة معناه فانشد ثانية :

هـذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب في الظلماء جرار
والصائمون جميعا يهتدون به
كأنه علم في رأسه نار

واقبل عدد آخر من الشعراء على الانشاد في فانوس السحور ومقال سائر لا يتحمل عرض ما أنشد فيه :

وفي رمضان يصعد المؤذنون على المآذن ينادون النوام أن يستيقظوا للسحور ويوشون نداءهم هذا باشعار يرددونها في نغم شجي في وقت السحر وهذا هو ما يعرف بالتسحير .. ومما يقال في ذلك :

ايها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذى أجرى الرياح
ان جيش الليل قد ولى وراح
وتدانى عسكر الصبح ولاح
اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

وهناك بعض المنظومات الأخرى كتبت لتنشد في العشر الأواخر من رمضان يرددها المؤذنون والمسحرون .

أما في العصر الحديث فلم أعثر لغير شوقي على قصائد في رمضان الا للأستاذمحمود حسن اسماعيل وجدت له قصيدة بعنوان « ناسك » الزمن .. لها طابعها الخاص جمع فيها الشاعر كل خلجاته ازاء هذا الشهر الكريم ولم يفته ان يسجل مظاهر الافراد وحياة المجتمع في رمضان .

بداها بحوار بينه وبين رمضان يسأله ويعجب من شأنه فيقول :

أضيف انت حل على الأنام ؟
واقسم ان يحيا بالصيام
قطعت الدهر جوابا وفيا
يعود مزاره في كل عام
تخيم لا يحد حماك ركن
فكل الأرض مهد للخيام
نسخت شعائر الضيفان لما
قنعت من الضيافة بالمقام
ورحت تسن للأجواد شرعا
من الاحسان علوى النظام
بأن الجود حرمان وزهد
أعز من الشراب أو الطعام

ثم يصور ترقب الصائمين لصوت المؤذن يعلن انتهاء النهار لا يقدر واحد منهم أن يسبق النداء أو أن يرفع صوته . بل ينتظم الجميع في خشوع فيقول :

جعلت الناس في وقت المغيب
عبيد ندائك العاتي الرهيب
كم ارتقبوا الأذان كأن جرحا
يعذبهم تلفت للطبيب
وأتلعت الرقاب بهم فلاحوا
كركبان على بلد غريب
عتاة الأنس أنت نسخت منهم
تذلل أوجه ، وضنى جنوب

وفي مقطوعة ثالثة يصور المآذن ، وما يتلألأ فوقها من أضواء كأنها نور من الوحي يذكر بالهداية ، ويبث في النفس الاشراق ويعمر القلوب باليقين ، ويبعث فيها ما غفا من دوافع الخير :

تلفت للمآذن حاليات
كحوريات خلد سافرات
تفوح مباخر النساك منها
فتحسبها غصونا عاطرات
تلألأ حولها اطواق نور
مضيئات بحبك هائمات
كأنك حامل وحيا اليها
وقفن لسحره متلهفات
اذا صاح الأذان بها أرنت
بالهام كموج البحر عات
يذكر بالهداية كل ناس
ويوقظ كل غاف للحياة

محمد ابراهيم الجيوشي

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

كان ظهور الاستاذين الكبيرين طه حسين والعقاد على شاشة التليفزيون مادة طيبة لزملائنا الصحفيين .. اذ جعل الكتاب يعلقون على ما تحدثا به من آراء، وراح المندوبون يجمعون الاقوال المؤيدة والمعارضة لوجهات النظر التى أبدياها فى مختلف الشئون .

والواقع أن كل ماتحدث به الاستاذان لا جديد فيه الا ما قاله الدكتور طه حسين من أن التعليم الازهرى أصبح سطحيا.. وكل ما قالاه عدا هذا معروف عنهما، كتباه وأدليا ببعضه فى أحاديث صحفية . فكثيرا ما قال طه حسين ان الشباب لا يتعمقون ما يقرءون واتهم الادباء منهم بالخطف .. خطف المسائل والمناقشات دون التريث والتفهم ، وأعرب عن رأيه فى مسرح اللامعقول وما كتبه فيه توفيق الحكيم فى حديث مع أنيس منصور ، وقال مرة فى حديث مع كامل الشناوى انه لا يسمع الموسيقى العربية ولا الاذاعة العربية ولا يحضر الا المسرحيات الاوربية ، وكان حريصا دائما على موسمها فى الاوبرا .

وكذلك العقاد..كل ما قاله على شاشة التليفزيون وأثار الصحافة والكتاب الصحفيين .. كتبه وردده حتى أصبح معروفا عنه .. رأيه فى المرأة ووجوب لزومها البيت وتربية الاطفال ، ورفضه للادب الجنسى الذى يقصد به الاثارة ، ومعارضته للادب الجنسى ومسرحيات توفيق الحكيم التى كتب فى تفنيدها والسخرية منها عدة مقالات فى الاخبار ..

كل ذلك معروف لا جديد فيه ، ولكن الصحافة دائما تجذبها الشهرة وتحرص على اشباع الفضول لدى الجماهير . الفضول الذى يجذبه بريق القشور ولا يجد شهية للباب .

وهذا الاهتمام الكبير بالاستاذين الكبيرين ، أو بالاحرى ظهورهما وحديثهما بالتليفزيون له دلالتان الاولى تدعو الى الارتياح والاغتباط ، وهى التفات جماهير الناس وممثلتها الصحافة الى الادب والادباء والى أن فى هذا المحيط ما يمكن ان يكون موضع الاهتمام ، لا نجوم المسرح والسينما وأبطال الرياضة فقط ..

أما الدلالة الثانية فتدعو الى عكس الارتياح والاغتباط .. لانها تدل على أن الادباء وكتاباتهم وافكارهم فى واد وهذه الكثرة من الناس وممثلتها الصحافة فى واد آخر ..

يكتب الادباء ما يكتبون فى الكتب وحتى فى الصحف فلا تكاد كثرة الناس تلتفت الى شىء مما يقولون الا اذا كان معركة سلاحها السباب والنيل من الاشخاص ، أو كان غريبا يسترعى الانظار كاللامعقول والهجوم على المرأة العاملة .

فاذا ما أتى الادباء على شاشة التليفزيون امام الجماهير عرفت آراؤهم واخذت على انها أشياء جديدة تستحق الاهتمام والترديد واخذ الاحاديث حولها من كل من يعنيهم الامر ..

وهناك أمر ثالث دلالته أسوأ .. فليست الجماهير فقط هى المعزولة عن الادب والادباء أو تكاد .. بل ان الاستاذين الكبيرين يرفضان كل مظاهر التقدم فى مجتمعنا الحاضر .. المرأة العاملة يجب أن تعود الى البيت لتقاسم زوجها جنيهاته وتشتبك معه كل يوم فى « مصاريف البيت » وتجتمع بجاراتها وصواحبها للحديث والبحث عن آخر أخبار الزواج والطلاق والعلاقات الاخرى .. هذا اذا رضى الشبان أن يتزوجوا من قعيدات يستنفدن جنيهاتهم المعدودة .. ولن يرضى أكثرهم بهذا ، **فتكون النتيجة أن تعود المرأة الى البيت فلا تجد البيت !**

والتعليم الازهرى سطحى .. لانه تحرر من قيود « الحواشى » وتقديس أقوال لا توافق العصر ولا تعبر عن روح الدين الحقيقى ، **وتحرر من العزلة التى ثار عليها قديما الطالب القديم الشيخ طه حسين .. وانطلق يجدد حياته بما يلائم العصر !..**

وجيل الادباء التالي لاولئك الاساتذة الكبار سطحي وجاهل ويكتب الادب الجنسي الذي يعرف (بضم الياء) انه أدب جنسي من غير أن يقرأ .. لان هؤلاء الادباء يكتبون عن الاساتذة الكبار مالا يرضيهم وينتجون الوانا من الأدب ترفضها أذواقهم وقس على ذلك بقية المسائل .

النقد .. وهل له قواعد ؟

هذا ، ولم يكن كل ما عقب به في الصحف على هذا الموضوع خاليا من الفائدة ، **فقد عني انيس منصور بالمسألة عناية موضوعية جدية** ، اذ تتبع أهم النقط التي أثيرت واتصل بالعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم يسألهم التفسير ورأى بعضهم فيما قاله به الآخر . وأتى من ذلك بمحصول لا بأس به

ومن أهم تلك النقط ما دار حول النقد : قال العقاد في التليفزيون ان طه حسين لم يقدم قواعد جديدةللنقد الأدبي . وقال طه حسين لانيس منصور: أنا لا أومن بقواعد النقد ، فالنقد هو الذوق ، وقد أعلنت هذا الرأى في مقدمة كتابي (الادب الجاهلي) وسأل أنيس توفيق الحكيم عن رأيه في ذلك ،فقال: النقد يعتمد على الاثنين .. على القواعد وعلى الذوق، ونحن نريد من الناقد عادة أن يقول لنا ان كان يحب هذا العمل الادبي أو لا يحبه .. فاذا لم يحبه يجب أن يفسر لنا ذلك ، واذا احبه يجب ان يشرح لنا الاسباب .

والواقع أن هذا موضوع جدل قديم جدا ثار في أوربا وأمريكا منذ أكثر من قرن ، وهو موضوع الخلاف بين مذهبين من مذاهب النقدة : المذهب الذاتي أو الانطباعي ، والمذهب الموضوعي .

كان نقاد المذهب الاول يقيسون العمل الادبي بمجرد تأثرهم به ووقعه في نفوسهم ، ويرون من الحذلقة الفارغة البحث في القواعد والاصول التي ينطبق عليها أو لا ينطبق هذا العمل . فجاء بعدهم « الموضوعيون » وثاروا على الذاتيين قائلين بأن « الموضوعية » تقضي بأن يقيم العمل بطريقة علمية تعنى بوضعه في موضعه من مذاهب الادب ، وتفسر وتدلل على ما تقول كما يعنى القاضي بحيثيات أحكامه. وغالت ثورة الموضوعية على الذاتية حتى كادت تنكر الذوق والتأثر ..

وشيئا فشيئا ، وبعد ما ذهب ما يكون عادة من غبار الثورات الفكرية ، استقر الامر بين النقاد على ان النقد المتكامل هو الذي يجمع بين مزايا كل من المذهبين ، فالتأثر والتذوق أولا، ثم التعليل والتدليل بالمقاييس الموضوعية .

وبذلك حسم الخلاف حسما عمليا بين التأثرية والموضوعية في النقد الادبي ، واصبح الخلاف بينهما كالمناظرة بين السيف والقلم ..

أول صحفية في مصر

استمعت الى الاستاذ **مصطفى امين** يتحدث في برنامج « خطوة عزيزة » باذاعة صوت العرب،ويقول **ان امينة السعيد كانت أول صحفية تباشر العمل الصحفي في مصر** وأن اللائي كن قبلها يكتبن في الصحف انما كن يفعلن من منازلهن .

وكثيرا ما نسمع ونقرأ مثل هذا الحكم الذي يخالف الواقع الماضي ، مما يدل على انقطاعنا عن تاريخنا الصحفي والادبي .

كم صحفيا أو كم أديبا أو ناقدا عندنا يعرف شيئا عن « لبيبة هاشم » الكاتبة الصحفية والقصصية العربية التي بدأت تكتب وتترجم في أواخر القرن التاسع عشر .. ؟

كان ذلك أولا في مجلة « الضياء » التي كان يصدرها أستاذها - أستاذ لبيبة - ابراهيم اليازجي ، وقد نشرت بها عدة قصص قصيرة مؤلفة ومترجمة ، أولها قصة « حسنات الحب » - نشرت سنة ١٨٩٨ - وهي قصة فتاة جميلة في ثياب راهبة طرقت باب احدى الأسر . ففتح لها البواب الذي فتن بجمالها ، وقالت لصاحبة القصر انها راهبة من أخوات المحبة في مصر أرسلتها رئيسة الدير لبعض الاغراض في تركيا ، وقدجاء عليها الليل في الطريق فلجأت الى هذا القصر لما سمعت عن أهله من كرم الأصل والاخلاق ، وتريد أن تبيت الليلة ،فرحبت بها صاحبة القصر ، وانزلتها في احدى غرفه ، **واستبد بالبواب الشوق الى رؤية الفتاة التي وقع حبها في قلبه أول ما رآها فتسلل الى غرفتها ونظر من ثقب الباب فرآها مدججة بالسلاح .. وقد خلعت ثياب الرهبنة ، وتتدلى من حزامها سلسلة مفاتيح .. ورآها تشير بالمصباح الى آخرين في الخارج ... وكشف أمرها لسادته . وقبض عليها**

رجال الشرطة هي وافراد العصابة · وكان كشف امر هذه اللصة من « حسنات الحب » ·

ثم نزلت لبيبة هاشم الى ميدان العمل الصحفي المباشر في مجلتها « فتاة الشرق » التي صدر أول عدد منها سنة ١٩٠٦ وقد عنيت فيها بشئون المرأة، واستمرت في كتابة القصص بها ، الى جانب المقالات الصحفية · وقد نشرت فيها قصتين طويلتين لهافي حلقات مسلسلة ، ثم جمعت كلا منهما في كتاب ، وهي « قلب الرجل » و « شيرين » · **وقصص لبيبة هاشم القصيرة والطويلة من أوائل الاعمال القصصية العربية في العصر الحديث ·**

وقد دعيت لبيبة هاشم الى المحاضرة في الجامعة المصرية القديمة ، فالقت عدة محاضرات ، ثم سافرت الى سوريا سنة ١٩١٩ وتولت التفتيش هناك في مدارس البنات · ثم هاجرت الى جمهورية شيلي بامريكا الجنوبية سنة ١٩٢١ وانشات في مدينة شيكاغو مجلة « الشرق والغرب » ولكنها عادت الى القاهرة سنة ١٩٢٤ فتابعت اصدار مجلة « فتاة الشرق » الى أن توفيت سنة ١٩٤٧ ·

وكان باب القصص في هذه المجلة ـ كما كان في مجلة « الضياء » ـ هو باب « الفكاهات » ومما قدم في هذا الباب « الفكاهي » قصة لخليل (افندى) مطران عنوانها « نايف وصالحة » قال في أولها :

« اكتب لقراء فتاة الشرق قصة عاينت وقائعها لهم كما شاهدتها بلا ترتيب ولا تحلية ولا التماس حيلة مما يراد به في القصص زيادة التأثير »

ولكنا نرى المجلة ـ فتاة الشرق ـ تنشر في سنة ١٩١٩ **قصة لمنصور فهمي** بعنوان « التوبة » وتكتب تحت العنوان « بقلم حضرة الكاتب الاجتماعي القدير الدكتور منصور فهمي » **وقد نشرت هذه القصة في غير باب « الفكاهات » المخصص للقصص ··** ولعل ذلك لان القصة لم تكن على غرار القصص التي كانت تنشر في ذلك الوقت وما قبله ، فنشرتها على أنها مجرد مقال ·· كانت قصة « التوبة » قصة واقعية بالمعنى الحديث للمذهب الواقعي في الادب· ثم نشرت المجلة بعد ذلك بثلاثة أشهر قصة أخرى للدكتور منصور فهمي نشرت في باب القصص أو باب الفكاهات ·· قد يكون ذلك تصحيحا للوضع بناء على اعتراض الكاتب ، وقد يكون لسبب آخر · **والقصة الثانية عنوانها « ابن الحاج نصر » وترسم شخصية ابن الحاج كنموذج لعزيز قوم ذل رسما واقعيا مبكرا في حياتنا القصصية ،** وتعبيرها رائد في التعبير الادبي الذي يدني العامية من الفصحى أو يرفعها اليها · تبدا القصة هكذا على لسان البطل

« **وانا ذا ابن الحاج نصر ·· الله ·· الله ·· ما الذى حل في الدنيا ؟** »

ولم يمض الاثنان ـ خليل مطران ومنصور فهمي ـ في الكتابة القصصية ، وقد أحسن الاول بتحوله عن القصة الى الشعر ، فقصته لا يمكن أن تكون قصة ·· أما منصور فهمي فقد انصرف الى نواح أخرى من الكتابة والنشاط الثقافي ، **ولو أنه ثبت في ميدان القصة لكان لنا منه كاتب قصصي من الرواد ·**

وبعد فهل كانت لبيبة هاشم أول صحفية باشرت العمل الصحفي في مصر ؟ لا اريد ان اجازف كما جازف الاخ مصطفى امين بقوله مثل ذلك عن أمينة السعيد ·· وبين عهدى السيدتين أكثر من ثلاثين سنة ··

لا اريد أن أجازف ·· فقد يكون هناك من سبقتها ·· وكم في تاريخنا من خبايا ودفائن تحتاج الى من ينبش عنها !

الرقص ورمضان

« سهير زكي ترقص في مسلسلة (القط الاسود) التي يخرجها عادل صادق واذيعت منها حلقتان حتى الآن ، رقصة سهير في الحلقة السادسة ·· ولذلك تأخر بدء اذاعة الحلقات حتى منتصف رمضان، حتى يوافق موعد اذاعة الحلقة السادسة (وبها الرقصة) بعد العيد ، **تطبيقا لقرار منع الرقص الشرقي في رمضان ·** الرقصة ترقصها سهير في فيللا القط الاسود ·

هذا ما نشر في احدى الصحف من أنباء التليفزيون ويهمنا منه **منع الرقصة المذكورة في رمضان واباحتها بعد العيد ··** اريد ان اسال : اذا كانت الرقصة المذكورة غير منافية للدين فلماذا تمنع في رمضان ؟ واذا كانت منافية فلماذا تباح بعد العيد ؟ **هل نحن مسلمون مكلفون في شهر رمضان فقط ·· فاذا ما ولى رمضان سقط التكليف واصبحنا محررين من قيود الدين ؟!**

عباس خضر

الأدب في أسبوع

يقدمه : محمد عبد الله السمان

● **عمالقة الادب والشاشة الصغيرة :**

ليست هناك أديب عربي لم يغتبط حين أعلن التليفزيون العربي انه سيدعو عمالقة الادب ليقضي كل منهم ساعة يواجه جمهور المثقفين خلالها . بخلاصة أفكاره وتجاربه ، وبعرض آراءه في صراحة في القضايا الادبية المعاصرة ، التي لم تزل مثار اخذ ورد ، ومادة دسمة للجدل والمناقشة ، وكان ان حرص الادباء والمثقفون على أن يجلسوا ساعة امام الشاشة الصغيرة ، ليستمتعوا بحديث استاذنا الدكتور طه حسين ، وساعة أخرى للاستمتاع بحديث استاذنا العقاد .

والذين شاهدوا العملاقين واستمتعوا بحديثهما دهشوا من خلوهما من جديد كانوا يتوقعونه ؛ فالآراء التي عرضت في قضايانا الادبية معروفة عن الاديبين الكبيرين . وسبق ان دونت في مؤلفاتهما ، واثيرت في كتاباتهما ومحاضراتهما . .

واذا كان الحق الى جانب الذين اخذوا هذا على الحديثين ، الا انهم لن ينكروا ان جلوسنا وجها لوجه امام أديبين كبيرين منظر تاريخي يسجل للاجيال القادمة ، هذا المنظر التاريخي وحده هو في حد ذاته فكرة جديرة كل الجدارة بالتقدير ، فقد تعودنا ان نقرا لهما ، ونستمع اليهما ، ولكنا لم نتعود الجلوس أمامهما عن كثب ، وهما يسردان ذكريات كفاحهما في مجال الثقافة في أكثر من نصف قرن من الزمان ، ويعرضان اراءهما في عدد من القضايا الادبية والثقافية ، ليعلنا اعتزازهما بآرائهما وثباتهما على مبداهما .

وهناك نقطة جديرة بالنظر ، فالأديبان الشامخان لم يكن لهما حق الاختيار في حديثهما ؛ فالاسئلة اعدت لهما ، وقد اجابا عنها ، والمعروف ان الاستاذ سامي داود قد اعد الاسئلة للدكتور طه حسين ، والاستاذ انيس منصور قد اعد الاسئلة للاستاذ العقاد ، ولو انهما استشاراهما في جديد لما ترأيا او قصرا ، فالتبعية اذن — دون مجاملة — تقع على الاديبين : سامي داود وانيس منصور ، وكان الأحرى ان تترك فرصة لجمهور الادباء ليناقش العملاقين ، دون الاكتفاء باديب يعد الاسئلة بمفرده ، ويظهر ان استاذنا العقاد قد احس بما احسسنا به من ان الحديث لم يتضمن شيئا جديدا كان متوقعا ، فاعلن استعداده للذهاب الى التليفزيون ، بشرط أن يتولى توجيه الاسئلة اليه ادباء ونقاد ، وأن يكون تسجيل الندوة على الهواء .

على ان الحديثين وان خلت آراؤهما من جديد — فليس معنى هذا تجريدهما من الفائدة ، فحسبنا هذه المناقشة على صفحات الصحف ، والتي اثارها الكتاب والنقاد اثر كل حديث ، فقد عقب على حديث استاذنا الدكتور طه حسين الاستاذ زكي عبد القادر والدكتور زكي نجيب محمود ، والشيخ محمد فرج السنهوري الوزير السابق ، والموسيقار محمد عبد الوهاب ثم الاستاذان توفيق الحكيم وكامل الشناوي كما عقب على الحديثين معا الكاتب الكبير الاستاذ احمد بهاء الدين والناقد المعروف الاستاذ عبد الفتاح البارودي وغير هؤلاء كثير .

وليس من اليسير ان نعرض لهذه المناقشة بالتفصيل في هذا الحيز الضيق ، الا ان من الضروري ان يثير اهتمامنا راي الاستاذ زكي عبد القادر في تعقيبه على الاستاذ الدكتور طه حسين ، وخلاصته ما اخذه على حكمه المطلق على جيله السابق والجيل اللاحق : **ان ابناء جيل من الاجيال ليسواهم قضاته الصالحين لوزنه وتقييمه ، فهم لا يستطيعون — على الاغلب — ان يتخلصوا من هواهم معه ، وكيف يستطيعون ، وهم ابناؤه ، قضوا فيه زهرة العمر والجهاد ، واقترن في اذهانهم ووجدانهم بذكريات عزيزة ، اخفى عليها مرور الايام مايشبه القداسة ، وما يقال عن ابناء جيل سابق في هذا الصدد ، يقال**

أيضا عن ابناء جيل لاحق ، فليسوا هم الآخرون القضاه الصالحين للحكم عليه . » ولا أظن ان الاستاذ زكي عبد القادر يقصد بتعقيبه هذا ان يحرم كل جيل من الدفاع عن كيانه ، لان هذه الفرصة الوحيدة لبعث الحياة والحركة في قضايانا الادبية ، وانما يقصد أن التعصب في كلا الطرفين لا يسمح بوجود قضاة نزهاء .

ومن الضروري أيضا أن يثير اهتمامنا رأى الأستاذ احمد بهاء الدين في تعقيبه على الدكتور طه حسين والعقاد معا ، ومؤداه : **انه لم يعجبه في الحديثين على السواء موقف الرفض لكل الاعمال الجديده والاتجاهات سواء في مصر ام في الخارج ، وموقف الرفض يختلف عن موقف عدم الموافقة ، فنحن نستطيع ان نناقش مسرحيات اللامعقول التي كتبها توفيق الحكيم مثلا ، ثم لا نوافقه عليها ، اما الرفض فهو شيء آخر ، هو اقفال باب المناقشة قبل أن تبدأ ، هو اصدار حكم بدون حيثيات كافية »**

ونحن مع الكاتب في أن موقف الرفض لكل الاعمال الجديدة دون مناقشة هو اصدار حكم بدون حيثيات ، ولكن الأديبين الكبيرين ليسا من هذا المذهب في شيء ، فلقد ابديا رايهما في الاتجاهات الجديدة وأفاضا ، ولا سيما في اللامعقول والشعر الحر وقدما حيثياتهما التي رايا فيها مايكفي ويقنع .

وبعد ـ فهذا البرنامج فكرة حية ما في ذلك شك ، ومهما نختلف حول آراء طه حسين والعقاد في القضايا الادبية والفنية كما سمعناها ، فان هذه الآراء ـ كما يقول الاستاذ البارودي ـ تلقى الضوء على مشكلات أدبية وفنية جديرة بالبحث والعمق ونحن نتمنى معه أن تواصل الكاميرات والميكروفونات هذه الرسالة الثقافية ، بدلا من استدعاء الادباء والنجوم للدردشة التي تنتهي عادة بالسؤل التقليدي : تحب تسمع ايه ؟

● لماذا الفصل بين العروبة والاسلام ؟

في مقدمة كتاب (الكندى فيلسوف العرب) للدكتور احمد فؤاد الأهواني ، وهو الذي صدر منذ أيام ضمن سلسلة : أعلام العرب ، التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي ، تساءل المؤلف :

فيلسوف العرب أم فيلسوف الاسلام ؟ ثم عقب بقوله : قضية اختلف القدماء في شأنها عند اختيار اللقب الذي ينعتون الكندي به ، فسماه بعضهم فيلسوف العرب ، ومنهم ابن النديم والقفطي .. وسماه البعض الآخر فيلسوف الاسلام ومنهم ابن نباته المصري .

ولست أدري لماذا يحاول الدكتور الاهواني أن يجعل من أوجه الاختلاف في تلقيب الكندي بلقب حجة للفصل بين العروبة والاسلام ، وهؤلاء القدامى الذين استدل باقوالهم لم يقصدوا هذا الفصل ، واغلب الظن انهم منحوا الكندى هذين اللقبين دون أن تمر باذهانهم هذه الفكرة ، وما ذكره المؤلف من أن ابن حجر اضطرب في وصف الكندي : أهو فيلسوف العرب كما في الجزء السادس من كتابه «لسان الميزان» أم فيلسوف الاسلام كما جاء في صفحة أخرى من نفس الكتاب ، يؤيد الا فصل بين العروبة والاسلام ولا يقوم دليلا على القطيعة بينهما .

ويبدو أنه من توارد الخواطر ان أثار هذه القضية الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي في افتتاحية العدد الاخير ، وهو يجيب عن سؤال وجه اليه من أحد القراء : أأنت تكتب عن أمجاد العرب أم أمجاد الاسلام ؟ وقد رد الدكتور قائلا :

« ان هذا السؤال سؤال خطير ، ولم يكن صاحبنا السائل أول سائل له ، والفرنجة لقى الكثير منهم هذا المعضل ، وهم يكتبون عن العرب سالوا أنفسهم : عن العروبة هم يكتبون أم عن الاسلام ؟

ورأى الدكتور أن المجدين امتزجا ، فما يكاد يفرق بينهما ، وان الدولة العربية دولة دينها الاسلام ولسانها عربي ، فهي اسلامية عربية معا ، على الرغم من خلاف نجده عند مطابقة نجريها بين العروبة والاسلام فليست العروبة اسلاما كلها ، وليس الاسلام عروبة كله .

أقول ليس من مصلحة العروبة أن نعزلها عن الاسلام ، وقد نشأت في كنفه ، ونمتها رعايته ، وليس من مصلحة الاسلام أن يتخلى عن العروبة وهي مهده ، وأرضها مطلع شمسه ، ومن خلاصة ابنائها خرجت الجيوش المؤمنة تنشر نوره في الآفاق .

اذن فهل هناك مصلحة لمن يحاولون التشكيك في الارتباط الوثيق بين الاسلام والعروبة ؟

***

● مجلة .. ومنهاج :

الفكرة العامة عن المجلات الادبية التى اخـــذت طريقها الى حياة الناس ، هى العمل ع لى ايجاد نهضة ثقافية ذات أثر ، ولكن اية مجلة يقدر لها الظهور يجب أن تعلن عن منهاجها وطابعها المميز ، ولا يعقل ان تترك قراءها الى ماشاء الله ليدركوا بأنفسهم فى أى الاتجاهات تسير ، وفى أى اطار تتحرك .

وحين صدر العدد الاول من مجلة الرسالة لم يفت استاذنا الزيات ان يوضح الخطوط التى تحدد منهاجها: **«عادت الرسالة اليوم الى قرائها ومعها ماكانت تحمل من اقباس النبوة وانفاس العروبة وآمال الشرق ، والاسلام والعروبة والشرق هى الاطار الذى يحيط بالصورة العامة لمنهاج الرسالة . اما أجزاء الصورة وملامحها ودقائقها والوانها وظلالها ، فهى تمثل تطبيق الدين على أصح وجه ، وتجديد اللغة على اوفى دلالة ، وتطوير الادب على أسلم وضع ، وتوجيـــه الاصلاح الى خير غاية ، وجمع العرب على أوثق وحدة وربط الجديد بالقديم على احكم بصيرة ، ووصـــل الشرق بالغرب على أهدى طريقة» .**

أما حين صـدر العدد الاول من مجـــلة الشعر ، ورحب بمقدمها القراء ، فقد كنا نتوقع أن تعلن عن منهاجها ليكون الحكم فى تقييمها ، والتمسنا هذا فى مقال الدكتور عبد القـادر القط الافتتاحى ، ولكنه جاء خلوا مما كنا نتوقع ، انه عرض لأزمة الشعر فى مصر والعالم اجمع ، والحملات الظالمة التى وجهت اليه ، والمعركة بين الجديد من الشعر وقديمه ، ولا شك أن المقال من المقالات الجديرة بالتقـــدير فى موضوعه ، ولكن كان أحرى به أن يتخـذ مكانه فى الاعداد القادمة ، لا أن يكون افتتاحية العدد الاول الذى يتوقع القراء منه الا يغفل توضيح منهاج المجلة وطابعها، للحكم عليها أو لها فيما بعد .

واذا تخيل المثقفون والادباء العرب أن يكون من ابرز خطوط مجلة الشعر تسجيل الانتاج الشعرى وتقييمه ، والدراسات فى الشعر العربى وغير العربى فالحق أن هذه الخطوط وضحت فى العدد الاول ، وكل مانرجوه أن تحافظ هذه المجلة الوليد على الطابع العام الذى اتخذته شعارا لها ، وهو «انها مجـــلة للشعر العربى» .

من اخبار الادب

● صدر للاديب السودانى : **عز الدين احمد حسن » عضو رابطة الادباء السودانيين بالقاهرة** كتاب جديد عن **الادب الشعبى فى السودان** ، الذى يعتبر محاولة لاحياء التراث الشعبى فى السودان ، وجزءا متمما لكتابه الاول «من روائع أدبنا الشعبى» .

● **من** المنتظر خلال الايام القلائل القادمة ان يتقرر اقامة اسبوع للغة العربية فى الجزائر لتنشيط اللغـــة العربية وشكلت لجنة لهذا الغرض وستعمل اللجنة على توثيق الصـــلات الثقافية بين الجزائر والدول الاعضـــاء فى الجامعة العربية من جهة وبين المغرب وسائر الدول العربية من جهة اخرى .

● **سلم** الشــــاعر ، فرمين استريلا ، رئيس اتحاد كتاب الارجنتين الذى زار القاهرة منذ ايام ، سلم الى الدكتور طه حسين رئيس المجمع اللغوى رسالة من رئيس الاكاديمية الارجنتينية ، يبدى فيها الرغبة فى تبادل الصلات الأدبية والثقافية مع مجمع اللغة العربية ، وقد وافق المجلس بعد عرض الرسالة عليه ، فى جلسة شهدها الضيف نفسه .

● **قامت** مكتبة المثنى ببغـداد بطبع « **كتاب المصاحف** » للحافظ **السجستانى** المتوفى عام ٣١٦هـ. اشرف على طبع وتحقيق هذا الكتاب ــ الذى يعتبر اساسا لبحث جديد فى تاريخ تطورات القرآن ــ الدكتور آرثر جفرى ، وقد اعتمد على نسخة خطية وحيدة محفوظة فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

● **سيظهر** قريبا للاستاذ **عبد السلام هارون** « **مجموعة رسائل الجاحظ** » وهى طبعة جديدة عنى بضبطها وتحقيقها تحقيقا وافيا .

● **أصدرت** مؤســة فرانكلين الاشـــتراك مع المكتبة الاهلية ببيروت للكاتب الكندى جفرى برون **« الحضارة الادبية فى القرن التاسع عشر » قامت** بترجمة الكتاب « عبلة حجاب » .

محمد عبد الله السمان

رسالة العلم

نداء لأهل الرأي

بقلم : الدكتور محمد محمود غالى

عرضت فى مقالى السابق كيف ان العلماء فى أوربا يتابعون رجال الأدب وجهابذة الفكر ، وكيف ان الأدباء بدورهم يتابعون العلماء ويطلعون على اعمالهم ، وذكرت أمثلة واقعية من الندوات العلمية او الادبية التى عاصرناها هناك ؛ وقلت ان هذا التبادل الثقافى بات فى ايامنا هذه الزم من أى زمن مضى ، ذلك انه حدثت طفرة علمية فى السنين الأخيرة فى ناحية الأقمار المصنوعة وفى ناحية الذرة والكشف عن القنابل الذرية وأثرها على الكائن الحى مما يجعل لزاما على الأدباء فى بلادنا أن يتابعوا هذه التطورات فى كتاباتهم كما يفعل زملاؤهم فى الخارج كما أنه استجد من المذاهب الاشتراكية فلسفات جديدة تجعل لزاما على العلماء ان يتابعوها بدورهم .

والواقع أن هذه التطورات العلمية كانت متتابعة وهذه الكشوف مفاجئة ، ولنعد بالذاكرة الى ماض ليس ببعيد ، فالصعود من الأرض موضوع شغل الانسان منذ سنين ، والطائرة جسم تزيد كثافة عن الغلاف الجوى المحيط بها ، وهى بذلك يجب أن تسقط وهذا الطفل البرىء الذى تركته أمه جوار النافذة ، لاتتصور المسكينة انه يستطيع السعى اليها ، فلما سعى سقط ومات لساعته ، هذا الطفل سقط بفعل الجاذبية وفق آراء نيوتن وبفعل تقوس الحيز وفق اينشتاين ، وعلى اية حال فان القوانين الطبيعية المعروفة تحتم عليه السقوط فسقط ، كذلك الطائرة اذا ارتفعت عن الأرض يحتم عليها أن تسقط ، ولكن الانسان استطاع بميكانيكا معينة أن يجعلها تطير ، واستعان فى ذلك بالهواء ذاته ليرفعها دائما .

وليس تاريخ الطيران ببعيد ففى سنة ١٩٠٨ تمكن « بليريو » الفرنسى من الارتفاع بطائرته وعبور المانش لأول مرة بين كاليه ودوفر والمسافة بينهما حوالى ٣٥ كيلو مترا .

وفى سنة ١٩٢٧ وبعد عبور المانش بعشرين سنة تمكن « لندبرج » الأمريكى من الطيران من امريكا الى فرنسا فوق المحيط الأطلسى دون توقف فى طائرة لاتتسع الا لشخص واحد ولقطته التى أحضرها معه . وهى الطائرة التى سماها روح « سانت لويس » من اسم بلدته ، وقد انتظره فى مطار أورلى بباريس حوالى المليون شخص عندما وصل فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وقد عرف باريس أو مدينة النور كما يسمونها من برج ايفل وعليه المليون مصباح كهربائى التى تكون اعلان السيارة ستروين ، ذلك البرج المعروف بجماله فى الليل .

كانت ليلة مثيرة لا لأهل باريس فحسب بل للعالم أجمع ، فقد علك فى هذا الطريق الطويل كثرة من المحاولين الشجعان كان آخرهم الطياران « نانجسيه » و « كولى » والأخير ظلت والدته المسكينة تنتظر ان يجدوه حيا بضعة شهور دون جدوى ، وهما اللذان أنشد الشعب الفرنسى أغنية شعبية ردد فيها اسميهما ، كنا نسمعها فى الليل خلال المذاكرة أيام الشباب .

قال « لندبرج » عندما وصل الى باريس بعد طيران ٣٦ ساعة « لقد وصلت أيها الصحاب » ، وكان لهذه الجملة رنة فى ذلك الزمان الذى ليس ببعيد . وعندما اطل فى اليوم التالى من فندق كارلتون الذى يطل على ميدان الكونكورد ، هذا الميدان الذى تتوسطه المسلة المصرية الرائعة المنقولة من معبد الأقصر كانت تموج مئات الألوف من البشر فى هذا الميدان والشوارع المحيطة به تتطلع اليه والى قطته ، وقد ذهب بعدها الى ضاحية فرساى حيث تناول الغداء بدعوة من « بليريو » الذى عبر بطائرته المانش قبله بعشرين سنة .

تلك كانت ذكريات عاصرتها بنفسى منذ أكثر من

٣٥ عاما وقد شاهدنا منذ اسبوعين على شاشة التليفزيون فى مصر فيلما رائعا عن قصة لندبرج المثيرة عندما ودعه الناس فى أمريكا قبل رحيله وعندما استقبلوه عند عودته الى وطنه ، كما أتى على الحادث المروع الذى جرى لأبنه الوحيد الذى اختطفه اللصوص نظير أتاوة كبيرة يدفعها الوالد المسكين وقد دفعها كاملة ، ولما ذهب الى المكان الذى عينوه له وجده للأسف ميتا ، وكانت هذه القصة الواقعية من الحوادث الهامة والمثيرة التى عرضها تلفزيون الجمهورية العربية المتحدة .

هذه حقبة أولى من التاريخ الحديث ، وبعد ذلك تطور فن الطيران واكتشفت الطائرات النفاثة لتستطيع أن تتناول طعام الافطار فى القاهرة والغداء فى لندن والعشاء فى نيويورك ، واصبح السفر بالطائرات النفاثة التى تتسع لمائة وخمسين شخصا أمرا عاديا لا احتمال للخطر على الحياة فيه أكثر من احتماله فى القطار أو السيارة ، ففى سنة ١٩٥٥ فى مؤتمر الخريجين صعدت الطائرة ٦ مرات ، وفى سبتمبر ١٩٥٧ سافرت الى سيلان عن طريق الهند وعبرت الى القاهرة عن طريق الباكستان ، وفى سنة ١٩٥٨ صعدت الطائرات ١٨ مرة فى مدى ٣٣ يوما فى رحلة الى السويد والى الاتحاد السوفيتى ، وعدت سالما معافى ، لأرى أولادى واستمتع بأحفادى .

ودارت الأرض حول الشمس ثلاثين دورة بعد حادث « لندبرج » الذى ذكرناه ، وليست ثلاثون سنة فى الزمن بكثير ، وظل الانسان هذا الكائن الحى العجيب يشتغل ، ظل هذا الحيوان الاجتماعى المتنقل وفق تعريف الفيلسوف « برجسون » ، هذا الحيوان القائم على رجليه وفق تعريف « جان روشيه » ظل يكافح ويفكر فاذا به يفاجئنا بعهد جديد عهد هو أقرب الى الخيال ، عهد لا تعتمد فيه المركب على الوقود أو الآلات ، وانما تصبح أقمارا أو كواكب فى المجموعة الشمسية ، هذه الاقمار الجديدة أو الاقمار المصنوعة يمكن أن تدور حول الارض أو حول القمر أو حول الزهرة أو الشمس ، وعشنا لنشهد عصر الاقمار المصنوعة .

وفى ٤ اكتوبر سنة ١٩٥٧ أطلق الاتحاد السوفيتى أول قمر مصنوع أمكن ان يدور حول الارض عدة مرات وكان وزنه حوالى ٨٠ كيلو جراما وكان مفاجأة مذهلة للعالم أجمع ، فالقمر المصنوع ليس به محرك يقوم بتسييره فى فلكه ، وتختلف الفكرة فيه عن الطائرة كل الاختلاف ، وكل مافى الأمر أن الانسان استطاع أن يضعه فى المجال الذى يجب أن يدور فيه ، وهو غير محتاج للهواء كما هو الحال فى الطائرة ، بل ان وجود الهواء يعوقه ويعمل فى آخر الأمر على احتراقه من احتكاك جسم صلب بذرات الهواء ، ومن المعروف أن أى جسم يقذف من ارتفاع بقوة بحيث تكون محصلة القوة الطاردة فى الاتجاه المضاد لقوة الجاذبية وتساويها فانه يبقى دائرا حول الارض .

ولم يراود هذا الحلم جهابذة العلماء حتى وقت قريب ، فقد تتلمذت على الاستاذ الكبير « جيبه » من سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٣٥ وهو الذى اخترع أول سينما فى العالم قبل « لوى ليميير » المعروف باختراعه للسينما التجارى ، و « جيبه » هو الذى هذب نقل الصور باللاسلكى مع أدوارد جيلان مكتشف البلانوجرام المنسوب لاسمه ، وقد قاس « جيبه » الزمن لأقرب واحد على خمسة مليون من الثانية ، وقد أرانى ذلك عدة مرات فى معمله بالسوربون ، وطالما جلست الى هذا العبقرى الذى أشهد اننى لم أر له فى الخليقة مثيلا ، وطالما تحدثنا فى المستقبل العلمى للبشرية ، ومع ذلك لم يذكر لى ولا ذكرت له الى أن مات سنة ١٩٣٩ أنه فى يوم قريب سيرى الانسان أقمارا من صنعه تدور حول الارض وحول القمر وتصطدم بالقمر اذا أراد الانسان ذلك . لم يأت ذكر لامثال هذه الحوادث الجسام أبدا وأعترف أن العلم قد تقدم تقدما كان لاينتظره جهابذة العلماء وليته عاش ليرى هذه المعجزات .

كان هذا القمر الروسى أول قمر مصنوع أو كوكب سيار صنعه الانسان ، وطبق عليه نظام الاقمار الطبيعية والكواكب السيارة .

وفى ٣ نوفمبر من نفس السنة ١٩٥٧ كان القمر الروسى الذى اطلقوا عليه سبوتنك ٢ وكان به الكلبة « لايكا » التى ماتت بعد أربعة أيام من اطلاقه

وفى سنة ١٩٥٨ أطلقت ثلاثة أقمار مصنوعة ففى ٣١ اكتوبر أطلقت امريكا قمرها الأول المكتشف وفى ١٧ مارس أطلقت قمرها الثانى « فانجارد » وفى ١٥ مايو أطلقت روسيا قمرها الثالث سبوتنك الثالث .

وتوالت الاقمار بعد ذلك من أمريكا ومن الاتحاد السوفيتى ، ولم يمض أربعة أعوام على أول قمر مصنوع حتى أطلقت روسيا أول رائد للفضاء « يورى جاجارين » ودار فى سفينة فضاء حول الأرض دورة واحدة فى حوالى ساعتين قطع فيها حوالى ٤٥

الف كيلو مترا ونزل فى المكان الذى عينوه له من قبل سالما وكان ذلك فى ١٢ ابريل سنة ١٩٦١ ، وفى ٦ اغسطس من السنة ذاتها اطلقت روسيا رائدها الثانى « تيتوف » الذى ظل يدور فى الفضاء ٢٥ ساعة دار خلالها حول الارض ١٧ مرة .

وبعد ذلك بستة شهور وفى ٢ فبراير سنة ١٩٦٢ اطلقت أمريكا رائدها الأول « جون جلاين » حيث دار حول الأرض ثلاث دورات ، وفى الشهر ذاته أطلقت أمريكا رائدها الثانى « كاربنتر » فدار حول الارض ثلاث دورات أيضا .

واخيرا وفى ١٢ اغسطس سنة ١٩٦٢ دار « نيكولايف رائد الفضاء السوفيتي الثالث حول الأرض ٦٥ مرة ومكث حوالى اربعة ايام ، كما دار زميله « بوبوفتش » رائد الفضاء السوفيتى الرابع حول الأرض ٤٨ دورة وقد صعد بعد زميله بيوم واحد ، ولكنهما نزلا فى بقعة واحدة قريبة من بحر قزوين ، وبينها فارق فى الزمن لم يتجاوز خمس دقائق ، وكان تتابعهما واقترابهما الواحد من الآخر تارةوابتعادهما تارة أخرى ، ورؤية العالم لكل منهما داخل قمره المصنوع على شاشة التليفزيون حالة وجودهما فى الفضاء ـ هذا بوبوفتش يسبح داخل القمر يبحث عن القلم السابح ايضا ، فقد فقد كل منهما الوزن ، ليكتب مذكراته ، هذه امريكا يراها بعينه وهذه افريقيا يراها ولم يمض على رؤية امريكا سوى ١٣ دقيقة ، وهذه أجهزة دقيقة وضعها العلماء بجوار العين ليسجلوا حركاتها ، وهذه اقطاب كهربائية وضعت على جبهة كل منهما فى أعلا الوجه وعلى الرأس من الخلف يسجل العلماء وهم فى معاملهم ما يدور براسيهما من انفعالات او افكار ، كل ذلك والسفينتان تدوران حول الأرض تطلع الشمس على كل من السفينتين وتغرب فى خلال ساعة واحدة ، ويمر الليل عليهما كله فى ساعة واحدة أخرى ـ هذان الرائدان أصبح النهار عندهما ساعة واحدة والليل عندهما ساعة واحدة ـ هذان الرائدان يعيشان اذن فى عالم يختلف عن العالم الذى نعيش فيه ، وهما يتخاطبان احيانا بالأجهزة اللاسلكية ، ويسمع العلماء أصواتهم وهم فى معاملهم ، بل ويراهم الجمهور على شاشة التليفزيون فى موسكو وفى لينتجراد ، وهذه تنقل صورهم وحركاتهم وحياتهم الى كل تلفزيونات اوروبا ، كل ذلك يجرى فى وقت واحد .

وفى ٣ اكتوبر من السنة ذاتها اطلقت امريكا رائدها الثالث « والترشيرا » الذى دار فى سفينة فضاء حول الارض حوالى ٦ مرات ، وكانت تتابعه محطات الارصاد الأمريكية ويقدرون الذين كانوا يديرون هذه السفينة ويتابعونها من الموظفين حوالى اربعين الف شخص ، ونزل هذا الرائد سليما فى المحيط الهادى ، وامكن للعالم كله رؤيته على شاشات التليفزيون بواسطة القمر التلستار الامريكي الذى خصصوه لهذا الغرض .

وفى سنة ١٩٦٣ استمر اطلاق الاقمار المصنوعة وسفن الفضاء وسمعنا عن رحلة كوبر الامريكى وعن رحلة بيكوفسكي فى سفينة فضاء روسية ، ثم لأول مرة فى التاريخ سمعنا بانباء الآنسة « فالنتينا » التى تزوجت حاليا من زميلها تدور حول الارض ، ونسمع هذه الأيام بذلك القمر الصناعى الامريكى الذى اصطدم عمدا بالقمر الطبيعي فى وادى السكون وكان الغرض من ارساله ان يرسم ثلاثة الاف صورة لسطح القمر فى الربع ساعة الأخيرة قبل الاصطدام ولكن أجهزة التليفزيون تعطلت للأسف .

ولا يفوتنا ان نذكر القمر السوفيتي الذى دار حول القمر الطبيعي وسجل لجانبه الآخر الذى لانراه صورا بعث بها لاسلكيا وأوتوماتيكيا الى الارض دون ان يكون بداخله رائد ، واصبحت هذه الصور الفريدة ضمن الخرائط التى يمتلكها الانسان .

هذه الاحداث الاخيرة تحتاج منا الى تأمل ، وتحتاج من معشر الأدباء والمفكرين والكتاب فى بلادنا الى تذوق جديد وأسلوب يتأثرون به فى كتاباتهم عندما يكتبون لأبناء هذا الجيل .

هذه خلاصة لما حدث فى الاقمار المصنوعة وسفن الفضاء ، أما ماحدث فى عالم الذرة فهو أعجب بكثير وهو قمة العلم واعظم ما وصل اليه الانسان ، ولقد كتبت فى الرسالة عن الذرة مقالات عديدة فى الرسالة منذ ربع قرن ، ولكن الدنيا تغيرت ، وتغيرت بقدر كبير وسيكون لى مع القارىء فى هذا الباب من العلم جولات قادمة ، وللعلم تاريخ طويل وهو منهل عذب ويلزمك ايها الأديب ثقافة علمية أرجو أن أستطيع تبسيطها هنا على صفحات الرسالة كما يلزم لى وأنا من المشتغلين بالعلوم ثقافة أدبية فأطالع الادباء منكم واطالع من الكتاب المحدثين فى الشرق والغرب بما يجب الالمام به وما يجب أن أعرف .

دكتور محمد محمود غالى

الكتب نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي

الطريق إلى بئر سبع

بقلم : ايثيل مانين
ترجمة : الدكتور نظمي لوقا

لقد هز ضياع فلسطين – وخروج العرب من ديارهم لكى يصبحوا لاجئين بلا وطن – الضمير الانسانى بعنف – وكانت اثيل مانين مؤلفة هذه الرواية احدى أولئك الذين تأثروا وانفعلوا بقضية اللاجئين الانسانية . وقد أهدت كتابها اليهم قائلة:

الى اللاجئين الفلسطينيين ومن أجلهم .. أولئك الذين قالوا لى فى كل الاقطار العربية التى استضافتهم – لماذا لا تكتبين قصتنا نحن ، قصة الخروج الآخر – خروجنا نحن ..

وقد صورت اثيل مانين خروج اللاجئين بقولها :

« لم يدرك الفلسطينيون على وجه التحقيق المدى الذى صمم مغتصبو أرضهم على الوصول اليه فى اذلالهم – الا بعد أن وجدوا أنفسهم فى البرية – فهناك جرد هذا الشعب الأبى الكريم من كل خصائص الانسانية – وثمة ظروف لا يحتفظ المرء فيها الا بشىء واحد هو تصميمه على البقاء – وفى تلك الظروف تتخلى الامهات عن أطفالهن لتلتهمهم بنات آوى لانهن عجزن عن حملهم خطوة أخرى – وفى هذه الظروف عينها يترك الشبان ذويهم المسنين ليموتوا

وكانت أغلبيتهم الساحقة لا تملك الا الثياب التى ترتديها وايمانها بالله الذى لا يغفل ولا ينام .. وجميعهم قد خلفوا وراءهم الاراضى التى كانت عائلاتهم تزرعها منذ قرون لا تحصى – فهم جميعا – رجالا ونساء – أناس كادحون يتجه كل كفاحهم لمقاومة الفناء تحت الشمس المحرقة – ومع هذا يتحرك سوادهم الأعظم متعثرين فى كل خطوة يخطونها فينهضون فى صمت ويواصلون التقدم فى عناء كأنهم تماثيل آلية صماء .. لانهم يعلمون ان البديل الوحيد للتقدم الى الامام هو الموت المحقق – وارادة الحياة تلازمهم الى آخر نفس من أنفاسهم اللاهثة ..

وكان ضمن آلاف النازحين من اللد – بطرس منصور – الثرى الفلسطينى الذى خرج من وطنه ذليلا جريح الكرامة مطعونا فى شرفه – اذ اغتصب جنديان من جنود اليهود بعض نساء منزله – قبل الرحيل .. وهما نادية وزندا وكان بطرس متنبها للناس من حوله فى جمود وعدم مبالاة بالذين يقومون منهم – رجالا ونساء – على ضم راح أيديهم ليجمعوا فيها بولهم كى يشربوه – بل يجمعوا أيضا فى راحهم بول غيرهم الذين راحوا يقاتلونهم عليه ليظفروا بقطرة من ذلك السائل الثمين الذى أصبح دنسه مرادفا للحياة .. !!

ورأى أنطون – ابن بطرس – وهو فى شبه دوار – امرأة تلقى فجأة بالطفل الذى كانت تحمله الى بطن حفرة حيث استقر صارخا – ومضت فى طريقها قدما .. فالجميع يسيرون الى الامام والشمس تنهال عليهم بشواظها تريد أن تقتلهم .. والطائرات السوداء تحوم كالصقور تتربص الفرصة للانقضاض عليهم من السماء التى صهرتها الحرارة والارض التى لا ترحم ولا تلين تعكس ما تتلقاه من حرارة الشمس وتصليهم به فى وحشية ..

اما نادية التى اغتصبت قبل الرحيل – فقد كانت تعانى من الصدمة – وينتابها الدوار وهى سائرة – أشبه بحيوان مصعوق ، غارقة فى تعاستها الى درجة لا يمكن أن تشعر معها حتى بالحر أو العطش – وقد استحوذ عليها الرعب الى درجة تعجز معها عن الشعور حتى بالخوف ..

وواصل بطرس منصور – وهو رجل مسن – وابنه أنطون وزوجته – ونادية وزندا – المسير – رغم انه لم يتح له أن يتزود ولو بقطرة ماء من وطنه قبل الرحيل المفاجىء ..

فهو مازال يذكر كيف تبول اليهود فى «صهاريج» المسجد الكبير الذى احتمى به وهم يقهقهون ويدعونهم لكى يشربوا منه بعد ذلك .. وظلوا على حالهم من الجوع والعطش الى أن وصلوا مع غيرهم الى مكان

بئر قديمة. لم يبق منه سوى بعض الطين المبلل بالماء **فعلوا كما فعل الآخرون ـ اذ عقدوا مناديلهم وجزازات من ثيابهم بعضها ببعض وادلوها في جوف البئر ـ ثم اخرجوها وقد تلوثت بالطين ـ الا انه طين بليل ـ وتقاسموها فيما بينهم وامتصوها ـ وهم راضون بترطيب حلوقهم وشفاههم الجافة بذلك البلل المبارك غير متنبهين الى طعم الطين المجوج ..**

وظل حشد النازحين من اللد في تقدمه الى أن وصل الى رام الله ـ وذهبت أسرة بطرس منصور الى منزل كانت تملكه في أريحا ..

ويبدأ بعد ذلك نوع جديد من العلاقات ـ اذ يتعرف أنطون الصغير على زميل له في المدرسة يدعى وليدا ـ ويبدأ أنطون (ووليد) في التفكير لاعداد خطة للتسلل داخل اسرائيل ـ وذلك لكي يستعدا للعودة الى وطنهم السليب .

والقصة في مجموعها **تصوير رائع لمأساة خروج عرب فلسطين من ديارهم واستعراض لظروفهم وآلامهم** ـ أما محاولة أنطون ووليد ـ وهما ما زالا طفلين ـ دراسة الطرق والسراديب المؤدية الى داخل اسرائيل ـ **فتمثل تطلعات الجيل الجديد من شباب فلسطين في العودة الى ديارهم ..**

وقد وفقت المؤلفة الى حد كبير في تصوير طبيعة العلاقات النفسية والأسرية وارتباط ذلك بالعادات والتقاليد العربية الاصيلة ـ فمنى أخت بطرس منصور المسيحية متزوجة من خليل داود المسلم ـ **واعتقد أن المؤلفة قد قصدت هنا أن تبين ان صلة المسلمين والمسيحيين من عرب فلسطين لم تكن فقط صلة الجوار والاقامة في أرض واحدة وانما كانت بالاضافة الى ذلك ـ صلة دم ـ ومصاهرة .**

وارتفعت المؤلفة الى مستوى الفهم الكامل الواعي للنفسية اليهودية المتمثلة في حقد اليهود على جميع الشعوب بل على البشر جميعا ـ وعقد النقص التي جعلتهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ـ فجعلت زوجة بطرس منصور الانجليزية ـ ماريان ـ تتعرض هي الاخرى لذلك الظلم والاضطهاد الفادح من جانب اليهود المعتدين ولم تشفع لها جنسيتها الانجليزية في تلافي الاضطهاد والتعذيب .

ولمست المؤلفة ببراعة مكونات الشخصية العربية الانسانية وما تتحلى به من كرم وكبرياء .. في ذلك الحوار البسيط الذي دار بين نادية وخادمتها رندا **عندما طلب الجنديان اليهوديان الماء من وراء قضبان باب منزلهما المقفل . تقول ـ رندا ـ لسيدتها نادية .. ولكنهما من اعدائنا ـ فترد نادية على ذلك بقولها ولكنهما طلبا ضيافتنا ـ وهما عطشانان ..**

وعلى الجانب الآخر من الصورة تبرز المؤلفة خسة اليهود بشكل عام في صورة هذين الجنديين اللذين لم يراعيا حرمة الضيافة ـ **فيتنكرا لسيدة البيت وخادمتها ويغتصباهما عنوة .**

وفي ثلاث كلمات ـ تذكرهما المؤلفة على لسان احد الجنديين عندما كان يخاطب نادية ويحدثها عن زميله ـ بقوله : « **انه لبناني امريكي** » نراها تؤكد قضية هامة وهي ان اليهود هم اليهود في كل مكان ـ قوم لا يرتبطون بوطن ولا جنسية .. الا ولاءهم لعصاباتهم التي حاولت أن تأخذ شكل الدولة في صورة اسرائيل ـ أي انه ليس هناك اليهودي والاسرائيلي ـ **ولكنهم كلهم سواء في خستهم ونذالتهم في أي مكان كانوا من العالم .**

وبطرس منصور ذلك الثري العربي المسن والذي يعاني من مرض القلب ـ يمثل الكبرياء العربية الى ابعد مدى **فهو انسان عربي عظيم لا يلحقه الفناء ـ وعظماء الرجال لا يسقطون على الارض ويموتون ـ قد يهانون ويذلون وتغتصب املاكهم ـ وقد يطردون الى البرية ولكنهم اذا ماتوا بسبب ذلك فمعناه أنهم تقبلوا الهزيمة وانفتهم وكبرياؤهم لا تسمحان لهؤلاء العظام من الرجال بتقبل الهزيمة .. فمقاومة بطرس منصور للعطش والحر والطريق الطويل ـ هو في الاساس صراع في نفسه عميق .**

فهو يعتبر سقوطه على الرغم من علة قلبه اعتراف بالهزيمة ـ **ولانه لا يريد ان يشعر بالهزيمة ـ فقد امده كبرياؤه بطاقة جبارة لمواصلة السير الطويل الشاق** وهنا نسجل للمؤلفة ـ بكل اعجاب توفيقها في تصوير عناصر الصراع الداخلي عند بطرس منصور ـ وكذلك عناصر الصراع عند نصري عجاني وزوجته نادية عندما التقيا في ظروف حمل نادية من ذلك الجندي اليهودي الأفاق ..

وبعد .. **فما رأي روائيينا الكبار** !! ـ فقد احست ايثيل مانين « الانجليزية » بقضية اللاجئين وانفعلت بها وكتبت عنها ..

ترى ألم يحس بها بعضهم بعد .. ؟ ولن أقول هنا سوى ما قلته على صفحات الرسالة والثقافة في الاعداد الماضية وهو انه لا بد من بذل المزيد من الجهد ـ في سبيل خلق ادب النكبة وتطويره ـ وذلك لاهميته على الصعيدين القومي والعالمي ـ وما زلت أكرر قولي :

استيقظوا ايها السادة قبل ان تدينكم امتكم ..

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

رد على نقد

نشرت « الرسالة » في العدد ١٠٤٧ كلمة للاستاذ الفاضل « محمد مجاهد » المفتش بوزارة التربية والتعليم سابقا ٠٠ وكان ذلك تعقيبا منه على بعض المقالات التي نشرتها « الرسالة » لي عن الادب الصوفي ٠

وقد وقف الاستاذ مجاهد عند قول ابن عربي :
مقام النبوة في برزخ دوين النبي وفوق الرسول

وأخذ علينا الفهم الذي فهمناه له ، والتخريج الذي خرجناه عليه ٠٠ قال الاستاذ : « وقد فسر الاستاذ عبد الكريم الخطيب هذا الشعر الصوفي على أساس أن « دوين » ظرف مبني على الضم ، وكذلك « فوق » قياسا على « قبل » و « بعد » حين قطعهما عن الاضافة ، وجعل دون خبر مقدم (كذا) والولي مبتدأ موخر (كذا) ، وكذلك فوق الرسول»٠

ولا انكر أني فعلت هذا ، استنادا الى قواعد اللغة العربية الصحيحة التي يعرفها الاستاذ حق المعرفة ، وان يكن قد خانه عمله في هذا الموقف ، ولا أدري كيف حدث ذلك له ، كما لا أدري كيف يصدر هذا الحكم المطلق القاطع ، مخالفا به ما أجمع عليه علماء النحو ، وما قامت عليه اساليب اللغة منذ نطق بها أهلها الى اليوم ٠

يقول الاستاذ مجاهد في يقين الواثق ، وثقة المتثبت : « والذي أعلمه عن القانون النحوي ان «قبل» و «بعد» هما الظرفان اللذان قيل انهما يصح قطعهما عن الاضافة ، ولم أسمع بدون ، ولا فوق !؟»

هكذا يصدر الاستاذ هذا الحكم القاطع ، وهو يصطنع لغة القانون ، فيتحدث عن القانون النحوي، لانه يجلس مجلس القضاء ليقول الكلمة الفاصلة في هذه الجزئية من جزئيات النحو ٠٠

واني لأخجل ـ والله ـ ان أشير للاستاذ مجاهد الى المراجع النحوية التي يمكن أن يرجع اليها ليصحح حكمه هذا على الوجه الذي يستقيم مع مقررات النحو وقواعده ، اذ ليست هذه المراجع مما يخفى على الاستاذ ٠

ولو كان الأمر بيني وبين الاستاذ مجاهد لسكت وأمسكت ، وتركت الامر يمضي على أنه من قبيل السهو أو الخطأ ٠٠ ولكن الامر مشترك بيننا وبين الالوف من قراء الرسالة ، فحقهم علينا في هذا المقام اولى واوجب ٠٠ والحق احق أن يتبع ٠٠

تقول ـ سيدي الاستاذ ـ في يقين قاطع : «والذي أعلمه عن القانون النحوي أن «قبل» و «بعد» هما الظرفان اللذان قيل انهما يصح قطعهما عن الاضافة ، ولم اسمع بدون ، ولا فوق » !! احقا انك لم تسمع بدون ولا فوق ؟

الا فاسمع ـ سيدي الاستاذ ـ من يقول لك ويسمعك :

« واذا بنيت الظروف على الضم تسمى غايات ٠٠ ومنها ـ أي من الظروف ـ غير قبل وبعد ـ «أول» و «دون» وأسماء الجهات الست : كيمين ، وشمال ، ووراء ، وأمام ، وفوق ، وتحت ٠٠ وهي على التفصيل المذكور في قبل وبعد ، من أنها اذا اضيفت لفظا اعربت على الظرفية ، وخفضا بمن ، واذا لم تضف لا لفظا ولا تقديرا أعربت الاعراب المذكور ونونت ، واذا حذف المضاف اليها فان نوى لفظها أعربت الاعراب المذكور ولم تنون ، وان نوى معناه بنيت على الضم ٠٠ قال الشاعر :
لعن الاله تعلة بن مسافر لعنا يشن عليه من «قدام»

بالضم ، والاصل : « من قدامه » فحذف المضاف اليه ، ونوى معناه فبناه على الضم » اهـ أتذكر ـ سيدي الاستاذ ـ الآن انك قرات هذا الكلام وحفظته منذ سنوات طويلة وانت طالب لهذه اللغة ، واستاذها ، ومفتشها ؟

لعلك نسيت ٠٠ ولا باس ٠٠ فاذكر انه النص الحرفي لكلام ابن هشام في كتابه : «اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك » وفي ص ٥٠ من الجزء الثاني من هذا الكتاب !!

واحسب أن ليس لك ولا لي بعد هذا ما يقال ٠٠ فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب !

بقي بعد هذا ما ردده الاستاذ عن الصوفية والتصوف كمذهب وعقيدة ، ولا رد لي عليه في هذا ، فاني قد عزلت هذه القضية من أول الامر عن موضوع بحثي الذي جعلته بحثا خاصا خالصا للادب الصوفي ، كفن من فنون القول ، بعيدا عن مجال العقيدة والدين ٠

عبد الكريم الخطيب

من وحى مؤتمر الذروة العربى

لاحت لى القاهرة بالامس وكانها بيت انفتح على مصراعيه ليستقبل بنيه بعد طول غياب ، وتراءت لى الارادة العربية تفازل الاهرام فى مستوى الشموخ ، والانطلاقة العربية تنافس ابا الهول فى مجال الثبات والصمت البليغ !

وراح القواد والزعماء يهرولون الى ارض الكنانة كما يهرول الحجيج بطوف حول الركن ، ويتدافع من امام الحطيم !

والعروبة اعتادت ان تلتقى فى ماضيها حول اقداسها خيما يحدو بها الواجب ، وعند قواعدها خيما ينالها التهديد !

لقد لاذت منذ القدم بجدار مكين راسخ الاساس انبعث منه الهدى فشع بالدين ، ونبت منه الوحى فاورق بالرسالة ، وشب فيه الاسلام فاينع بالحضارة ، وشيد فيه بيت الله فأخصب به الايمان !

وتلوذ اليوم بجدار شبت منه ثورة فوطد القومية ، ونبت فيه الوعى فلم شمل العرب ، وخلق فيه القائد فاعلن عن مولد الحريات !

ولاحت لى القومية العربية تتدافع بمنكبيها تلبى نداء اعلنته السماء ، وتوفى بنذور قطعتها الامة ، تسدد دينا عليها وفاء وبرا بالاجداد !

ثم لاح لى الشعب العربى بأكمله وكانه مارد خرج من قمقم فى اندفاعه من صنع القدر ، ووثبة من عمل المعدن الاصيل ، وانتفاضة كانتفاضة جناح العقاب تلطم الريح فتغدو ذلولا ، وتضرب الجو فيصبح طيعا فسيحا ،

تبارك النداء الذى هتف بالاذان فانسكب فيها كمثل التكبير ، والهتاف الذى هفا بالقلوب فتنزل فيها كالوحى ، انه صوت القائد الذى لمح البرق يتخطف فى جوانب الأفق ، والعواصف الهوج تزمجر فوق حواشى الصحراء ، والنذر السود تهبط على ارض العروبة كانها قطع من الليل :

ان العروبة فيها قوة دفاعها اصيلة لاتنبو ، ومقومات بأسها مخزونة لاتبلى ، وهبة شبابها كاسرة كذوات المخالب !

كسبت مراتها من جفاف الصحراء فاستقوت على الشداد ! وتعلمت حروبها منذ ايام الفتح فتغلبت على الضيم ، وارفقت نصالها فطبعت على الطعان !

انها تهتدى الدرب وتسلك السبيل ، فالفؤاد البصير يقود الى الهدف ، والرؤيا اللماحة تتعرف الى الغاية والايمان الراسخ يقوى على تذليل الصعاب !

ذهب الروم وبقى غبار حروبهم يعكر جونا حتى اليوم ، وراح الروم وبقيت فلول الثارات تزمجر فى الجو ، وتهدر وراء التخوم ، وتلوح فى اقاصى الأفق .

يوم كان العرب هملا من غير وازع ، وعددا من دون قائد ، كان الغاصبون يدخلون دارنا من غير اذن ، ويلجون حمانا من دون حق ، ويبتزون خيراتنا بغير مبرر ، يوم جردنا الدهر من مذاكينا فلم تلحق بالركب ، وكسر نصالنا فلم تقو على الحرب ، وشرد جموعنا فلم تصمد للدخيل !

اما اليوم ، فقد بعث القائد ، ووجد الرائد ، وتجمع الشمل ، واتضحت الغاية ، واستعيدت النصال وتحدد الهدف .

اليوم ، يشهد النيل موكب العروبة فى حلة من ازهى حلل التاريخ ، وفى خطو من اثبت خطرات الزحف ، وفى تصميم من اعند وابسل الارادات !

اليوم تشهد الوادى العروبة من محيطها الى خليجها ، وتشهد الشعار الذى كان يهتف به بالامس الملايين ، فاذا به حقيقة لا حلما ، وعيانا لاشعارا ، وقوة مدرعة مدججة حققها الزمن ، وشحذتها الاحداث واعدتها الليالى .

ما اجتمع العرب مرة فى التاريخ الا وكان اجتماعهم مدعاة اعجاب ، وتضامنهم مثار فخر ، واتحادهم موضع جد وخلق وابداع واريحيات !

اجتمعوا مرة حول قائدهم الأول فدوخوا العالم ، ونشروا الرسالة ، وتبوءوا اعظم مرتبة فى التاريخ !

ثم تمزق الشمل ، وتفرق الأهل ، وقسم الوطن ، وجزئت القوة ، فتعطلت عضلات من الحضارة ، ووقف قلب نابه عن العمل ، وشل فكر خلاق عن الخلق !

ان وحدة العرب امر مصيرى وحياتى ، انه شريان رئيسى يوزع الدم فى الكيان ويروى النبات بالرفد ، ويمنح الحياة للجسم الهزيل ، والكيان النحيل ،

سوف يقول التاريخ فى الغد ، ويشهد العالم فى القريب ، أن العروبة ثابتة ثبات الزمن أصيلة أصالة الشمس ، مبدعة ابداع الناموس ، مشعة فى وهج ومتمادية فى كبرياء ، وخالدة كالأزل امام وجه الغد والتاريخ !

حسن محمد عبد الله شرارة
بنشب جبيل ــ لبنان الغربى

زكى مبارك فى ذكراه

تخطت روحه عتبات السماء ومضى من هذه الدار وهو يحمل بين قلبه ألما دفينا وغصاصة مرة . ولعلها كانت النهاية المنتظرة لرجل عاش جل حياته يحمل « قنار الملاكم الادبى » زهاء ثلاثين عاما أو تزيد فبعث الروح والنشاط فى حياتنا الادبية .

مات الدكتور او الدكاترة ــ كما كان يحلوله ــ زكى مبارك فى الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٩٥٢ بعد حياة خصبة مليئة بالكفاح والجهاد عامرة بالانتصارات والامجاد .

ولا شك أن الدكتور « زكى مبارك » يرحمه الله كان مثالا حيا الطموح الدائب والكفاح الجلو والآمال العريضة التى يجب ان يتخذها الشباب نبراسا يهديه الى الطريق .

فلاح فقير يأتى من قريته « سنتريس » من اعمال المنوفية الى الازهر الشريف ــ حصن اللغة والفقة على مر العصور ــ ثم يبرز فيه غاية البروز حتى تطمح به همته الوثابة فيسافر الى فرنسا لينهل من ينابيع النور والعلم فيها . بدأ الدكتور حياته الادبية بالعنف فى أسلوب البحث العلمى حتى انه اختلف مع اللجنة التى عقدت لمناقشته عام ١٩٢٤ فى رسالته « الاخلاق عند الغزالى ولكنه رغم عنفه ورغم خلاف اللجنة معه استطاع ان يظفر من بين ايديهم بالدكتوراه الاولى . وهو لم ينس ان يحمل معه الى باريس اسلوبه فى النقاش وطريقته فى التفكير والبحث حينما سافر اليها لنيل دكتوراه ثانية ــ وفى عام ١٩٣٧ تقدم الى الجامعة المصرية ببحثه الممتع العميق « التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق » ونال عليه الدكتوراه الثالثة بعد جهاد دام تسع سنوات قضاها فى بطون المراجع والكتب فى العربية وغيرها من اللغات الحية .

ثم يلوذ الى قلمه او يلوذ قلمه به فيلهب به الجو الادبى فى صحافتنا العربية هنا فى القاهرة وهناك فى بغداد عندما دعته الحكومة العراقية لالقاء المحاضرات بدار المعلمين العليا من هنا كان كتابه الممتع « ليلى المريضة والعراق » وكتابه الاخر « من وحى بغداد » بمثابة همزة الوصل فى درب القومية العربية التى طالما تغنى بها ودعا اليها مع الاستاذ الزيات والمرحوم عبد الوهاب عزام

لقد عاش الاديب الفنان زكى مبارك يصارع الحياة والناس لانه كان يعشق الكلمة ويقدس مهنة القلم مهما حمله ذلك من اهوال وفجر فى طريقه من الغام مضى زكى مبارك بعد أن ترك مكتبة حافلة من مؤلفاته فى الادب والفلسفة والفن فضلا عن آلاف المقالات والتعليقات فى صحافة القاهرة وبغداد نذكر منها « الرسالة » و « البلاغ » .

نعم ياسيدى الزيات لقد كان الدكتور ــ رحمه الله ــ من ابرز كتاب الرسالة القديمة ومن العاملين على انجاحها ورواجها فهل تذكره الرسالة العائدة فى يوم ذكراه ؟

الرجل ياقوم لم يتمتع باشراقة النور الثورية والا كان احتضنها واحتضنته ولكن فى وزارة الثقافة والارشاد عيونا ساهرة ترعى تراث من مات مجاهدا فى سبيل عروبته ولغته ووطنه .

محمد جاد البنا
كلية الدراسات العربية
جامعة الازهر

« الرسالة » :
كتب الاستاذ عباس خضر كلمة فى هذه الذكرى فى (تعقيبات) بالعدد (١٠٤٦) .

قصة العدد

جناية أبوين

للدكتورة عاتكة الخزرجي

كانت تسكن واياه في بنسيون واحد ... فلفتت نظره واسترعت اهتمامه .. لقد كان كل شيء فيها كأنما وضع ليستوجب عنايته ويثير تفكيره .. فقد كان وداعتها وهدوءها واتزانها وحدة ذكائها ورقة احساسها مما يدفع الفتى الى الاعجاب بها .. وكان شذوذها وميلها الى العزلة وتجنبها الناس مما يدفع الفتى الى التفكير فيها .. وكان جمالها ولطفها وخفتها مما يدفع الفتى الى الافتتان بها ..وهكذا ظل الفتى من امرها بين معجب ومفكر ومفتون ...

واوشكت السنة الاولى ان تمر والفتى حيران لا يدري كيف الى فتاته يكون السبيل .. لأنها كانت تحيا في عزلة او شبه عزلة ارتضتها لنفسها بل وفرضتها عليها فرضا ولعلها كانت في ذلك مغتبطة سعيدة .. وانتهى العام الدراسي وباعدت العطلة ما بين الفتى وبين صاحبته فحرمته من رؤيتها قريبة منه تروح وتغدو كل يوم خفيفة نشيطة فياضة بالحياة ..

واحس الفتى أن في حياته فراغا لا سبيل الى سده ، وان فيها نقصا لا سبيل الى تمامه .. فادرك عند ذلك انه معجب بالفتاة كلف بها محب لها وادرك ان حياته لن تستقيم الا بها وسعادته لن تكون الا بقربها ... فاعتزم في نفسه الا يتخذ له شريكة للحياة دونها وقطع بذلك على نفسه عهدا ولم يبق عليه الا أن ينفذ عزمه ويبر بعهده ...

واستقبل الفتى عامه الثاني خفيفا نشيطا يندفع الى الدرس بأمل ونشوة ويتلقى الحياة بعزم وقوة كأنما كانت الفتاة تنفخ فيه من روحها الوثابة ونفسها الطموح أملا وثباتا وقوة ..

لقد كان صاحبنا ينظر الى فتاته فيرى فيها الها يستمد منه معاني السمو وينشد به سبل الخير لا جسدا يستفز فيه معاني الغريزة ويثير فيه مواطن الشهوات .. ومن هنا كان حبه لها أشبه ما يكون بالعبادة وتفكيره فيها أشبه ما يكون بالتسابيح .. وظل الفتى يتحين الفرص للتعرف بالفتاة والتحدث اليها ولو ساعة من زمن عساه يعرفها وتعرفه من قرب ويدرسها وتدرسه عن فهم ليصح له ولها ان يتعارفا ويتفاهما ليتفقا على الحياة من بعد ..

وكان أن حدثت المعجزة ذات يوم اذ حضرت الفتاة حفلة كبرى من الحفلات ولم يصدق الفتى عينيه بادىء بدء الا أنه اغتنم الفرصة أخيرا فكان أن حيا صاحبته في أدب وجلس منها قريبا يجاذبها الحديث .. وطال بينهما الحديث فقد آنست فيه الفتاة دعة ورقة طالما ظمئت اليها واتزانا وهدوءا طالما بحثت عنهما ووجدت فيه الرجل الذي يستحق أن يظفر باعجابها واكبارها وأن يستأثر بعطفها واخلاصها .. فتعارفا وتفاهما بل كأنما كانا متعارفين متفاهمين منذ زمن .. !

وخرج الفتى مسحورا مبهورا كأنما نفثت فيه الفتاة من سحرها وخرج الفتى من الحفل منتشيا مسرورا كأنما هو سائر على موسيقى رقيقة خفيفة حتى انه ليكاد من فرح النشوة يطير .. لقد أحس الفتى أن فتاته تبادله اعجابا باعجاب واكبارا باكبار وعطفا بعطف .. فليس عليه الا أن يخطو الخطوة الحاسمة فيفاتحها بعزمه ليخط واياها السطر الاول في صحيفة المستقبل ..

وكانت المقابلة الثانية ففاتحها الفتى بالأمر فاربدت وصمتت واجمة لا تكاد تحير قولا وعجب الفتى لها واذهله أمرها فسألها عما بها فقالت انها كانت هي الأخرى معنية بهذا الذي فاتحها به بعد مقابلتها الاولى له الا أنها ترى أن من الخير له الا يفكر في الزواج من فتاة دونه في الاجتماع مكانة واقل منه في الحياة ثروة ..

ومن الخير لها كذلك الا تفكر في الزواج من فتى صير منه المجتمع سيدها وجعل المال منه اميرها .. قالت ذلك في لهجة يخنقها الثائر المكتوم والثورة الحبيسة !

فذهل الفتى ووجم صامتا لا يكاد يبين ...

لقد هاله لهجتها الصارمة وعزمها الأكيد .. هاله أن ترفض هذه التي وقعت في نفسه ذلك الموقع وكان لها في حياته ذلك الأثر فثار ثائره وغلى الدم في عروقه لرد عليها بقول :

ومن قال لك ان المكانة الاجتماعية والثروة المادية

هي التي تقرر مصيري ومصيرك ويكون لها في حياتنا الكلمة الاخيرة ؟ أيكون شأننا نحن المثقفين شأن الجهلة الخاطئين ندع المادة الحسيسية تتحكم في مصائرنا وتباعد بين قلوبنا وتحل رباط أرواحنا ؟

والا ما الذي يمنع الفتى الذي ينحدر من أسرة نابهة أن يتزوج من فتاة تنحدر من أسرة خاملة ؟ بل ما يمنع الغني المترف ان يتزوج من الفقيرة المعدمة ؟ أترى الزواج عندك تلاؤم أسرتين وانجذاب ثروتين أم أنه تفاهم روحين وارتباط قلبين ؟

وردت عليه تقول الفتاة في مرارة :

بل المجتمع هو الذي قرر ذلك وحرم على الفقيرة الزواج من الغني لانه يضعها أبدا في الدرك الاسفل وان كانت حقيقتها عالية والمجتمع هو الذي يضع الغني في الدرك الأعلى حتى ولو كان حثالة البشرية دناءة وضعة وفسولة .. !

فقاطعها الفتى قائلا :

وما يعنينا من مجتمع تسممت آراؤه وفسدت معتقداته فاختلطت مقاييسه واضطربت أحكامه ؟

فردت عليه الفتاة قائلة :

وكيف لا نعنى بكائن نضطرب أبدا بين يديه نصابحه ونماسيه ؟ أفلا يعنيني اذا تزوجت منك ان اراه يسخر مني ويهزأ بي وينظر الى نظرة الاستخفاف والازدراء ؟ افلا يؤلمني اذا رايته ينظر الى نظرة من رأى نشازا فانكره واشماز منه ؟ افلا تاخذني عند ذاك سورة الندم فاود أن لو تزوجت من فتى مثلي فلم أستوجب سخرية ولم أستفز انكارا ؟

وأمضى الفتى سني الدراسة وتخرج يحمل شهادة القانون بامتياز ورقص قلب الفتى لهذه النتيجة السارة فجاء يحمل نبأها يبشر به أبويه وجلس الفتى الى أبويه ذات ليلة وفاتحهما في شأن زواجه وأخبرهما أنه عازم على الزواج من صاحبته تلك.. فثار ثائرهما وغلى الدم في عروقهما ورمياه بالغفلة وفساد الذوق وسوء التدبير .. ووقف الفتى صامدا متشبثا برأيه حتى استبد الغضب بأبيه فاقسم ليبرأن منه وليحرمنه حقوقه وليفعلن به الافاعيل ان أصر هو على الزواج من الفتاة .. وانصرف الفتى من مجلسه محنقا مغضبا وقرر أن يمضي في عناده الى النهاية مهما كلفه عناده من تضحيات ..

وذهب الى فتاته غداة غد يطلب يدها فانكرته ورفضت مقابلته ولم يعبأ الفتى بمغالطتها فقابلها وحادثها وظفر أخيرا باقناعها دون أن يعلمها بأمر أبويه وكان اعلان الخطوبة صبيحة اليوم التالي ...

وجاء الفتى الى خطيبته ذات يوم فلم يجدها انما وجد رسالة منها تنتظره .. فعجب للأمر ففضها فاذا بها خاتم الخطوبة وكلمة تعلن فيها الفتاة فصم خطوبتها دون أن تشير الى سبب ذلك ولو بكلمة !

وظن الفتى بصاحبته الظنون وثارت ثائرته وتشنجت أعصابه ولم يدر كيف يصنع ! أخيرا قرر العودة الى أبويه .. !

وخيل اليه وهو في ثورة الغضب وحمى الألم انه نسى الفتاة الى الابد وانه مستطيع الحياة بدونها فرضخ لاغراء أبويه وتزوج من الغنية التي وضعاها نصب أعينهما ...

وثاب الفتى الى نفسه أخيرا فاحس أن حياته فارغة وان روحه ضيقة وأن قلبه يتصدع.. والتفت الى زوجه فرآها كلفة بامرها معنية بنفسها مقبلة على زينتها ولهوها وعبثها لا تكاد تدري ان لها زوجا وأن من ورائها بيتا .. وتمثلت له صاحبته تلك وقابل بينها وبين هذه فهاله ذلك وانصدعت نفسه بين جنبيه واظلمت الحياة من حوله فلم يعد يرى في مظاهر الثراء التي تكتنفه غير أكفان قديمة عبثت بها يد الفناء ..

والقى البريد ذات يوم اليه رسالة من رئيس مستشفى العزل يقول له فيها أن مريضا بمرض خطر يلح في مقابلته .. وأحس كأن قلبه يغوص بين جنبيه وشعر كأن مأساة تنتظره خلف جدران المستشفى .. وخف الى المستشفى مسرعا وطلب مقابلة المريض ..

فاذا به الفتاة التي أحبها منذ زمن ومازال يحبها الى اليوم !؟ .. لقد أنهكها المرض ولم يبق فيها غير نفس يتصاعد خلف الأغطية ببطء وخفوق .. وما ان رأته حتى حاولت النهوض وهي تصعد فيه نظرا شئيلا .. ووصل الى أذنيه صوتها وكأنه آت من وراء الأزل ...

ها أنت ذا قد جئت أخيرا يا حبيبي لأقول لك كلمة الوداع ولاباركك وادعو لك ولتعلم انني لم اخنك ولم أنسك انما نزلت عند رغبة أبويك وحرصت على اسعادك وخشيت عليك غضب الوالدين ولعنة الناس وحرمان الجاه ...

الدكتورة عاتكة الخزرجي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

الدار القومية للطباعة والنشر